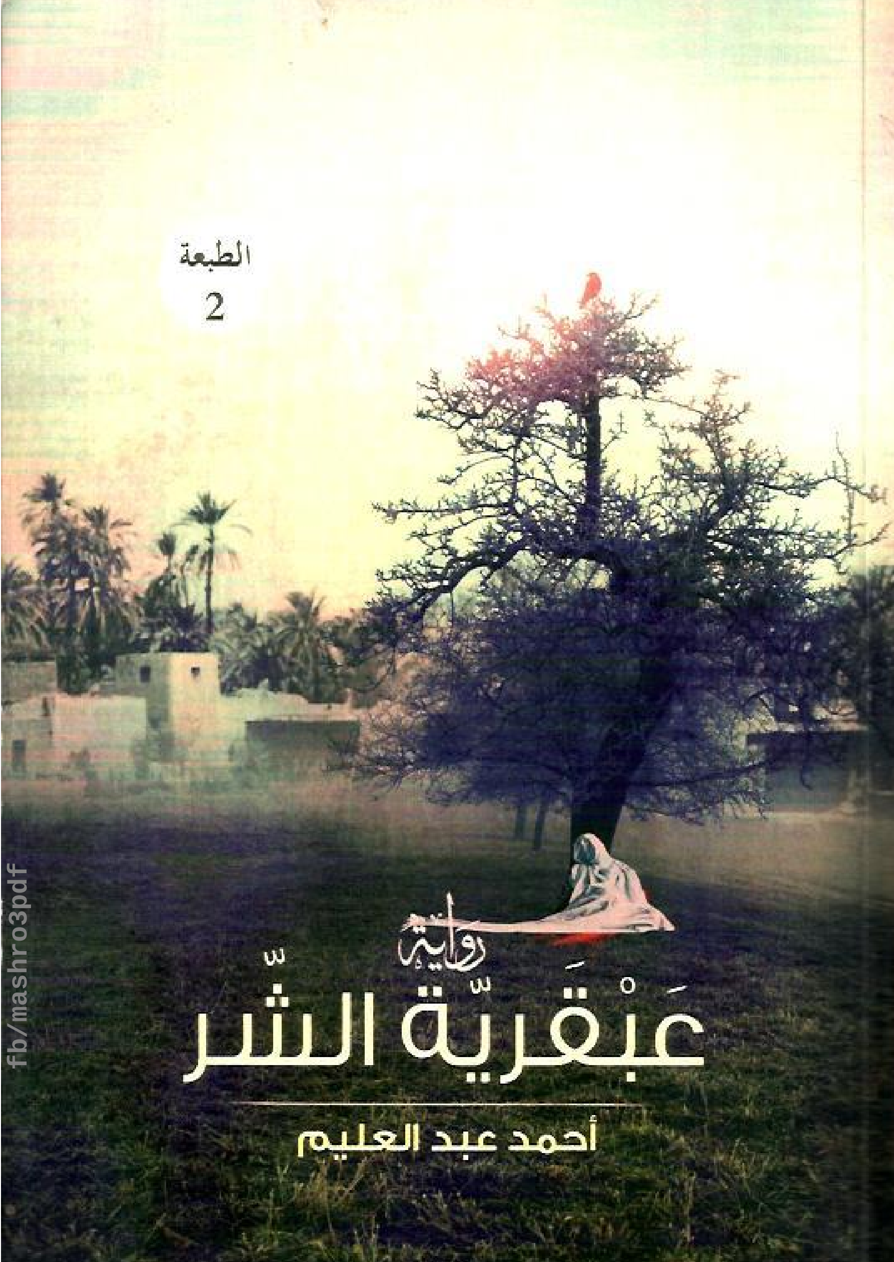

الطبعة
2

رواية

عَبْقريّة الشّر

أحمد عبد العليم

fb/mashro3pdf

عَبْقَرِيّةُ الشَر

fb/mashro3pdf

عَبْقَرِيَّةُ الشَّر

رواية

أحمد عبد العليم

تصميم الغلاف: عبد الرحمن الصواف

المراجعة اللغوية: رامي الجمل

رقم الإيداع : ٢٠١٢/٢٣٢٤٩

I.S.B.N:٩٧٨- ٩٧٧- ٤٨٨- ١٨٤ - ٨

دار اكتب للنشر والتوزيع

الإدارة : ١٠ ش عبد الهادي الطحان من ش الشيخ منصور،المرج الغربية، القاهرة .

المدير العام : يحيى هاشم

هاتف : ٠١١١٠٦٢٢١٠٣ - ٠١١٤٧٦٣٣٢٦٨

مكتبة اكتب : ٤٠ ش أحمد قاسم جودة من ش عباس العقاد ،خلف سيراميكا كليوباترا ، القاهرة .

هاتف : ٠١١١٤٣٢٨٥٢٥

E – mail :daroktob١@yahoo.com

Facebook : دار أكتب للنشر والتوزيع

الطبعة الثانية ، ٢٠١٣ م

جميع الحقوق محفوظة©

دار اكتب للنشر والتوزيع

fb/mashro3pdf

عَبْقَرِيّةُ الشَر

أحمد عبد العليم

رواية

٢٠١٣

دار اكتب للنشر والتوزيع

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

إهداء

إلى مصر التي أموت – أنا– فيها، ولا تموت – هي– فيَّ

إلى أمي وأبي وإخوتي التسعة: أحد عشر كوكبًا في حياتي

إلى المرة الوحيدة التي قابلت فيها حبيبتي – كما اتفقنا أن نلتقي – وكانت بالصُدفة

إلى بحر إسكندرية، ونيل القاهرة

إلى كوبري ستانلي، وكوبري قصر النيل

إلى كلية سياسة واقتصاد جامعة القاهرة، كل مَن فيها .. وكل ما فيها

إلى الشر الذي لولاه ما كان – خير – هذا الكتاب

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

مقدمة

عبقرية الشر روايتي البِكر، هي رواية قصيرة، ومحاولة للكتابة عن عالم مزدحم من الأفكار داخلي، حالفني الحَظ أن تتشكل هذه الأفكار في هيئة رواية، وربما هو من سوء حَظ الكتابة الروائية نفسها

هذه الأفكار كثيرًا ما طاردتني وشدّت أذنيّ وألقت بكميات هائلة من المياه الباردة في وجهي كي أستيقظ من دفء نومي وأكمل فصولها

أحداث الرواية هي مشاهد قصيرة تدور في مصر، في الفترة ما بين (١٩٧٧-١٩٨١)، وهي فترة حَرجة في حياة مصر وتشبه فترات سابقة ولاحقة عليها، وترتبط الأحداث بتفاصيل الأفكار ربما أكثر من تفاصيل الأشخاص والزمان والمكان.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

مُفتَتَح

الشَرُّ

هو الخيرُ في أسوأ صُوَرِه

لا .. شَرقيٌّ

ولا .. غَربيٌّ

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

(١)

الدخان الأزرق

" ترتفع خيوط الدخان كراقصة تخاوي أفعى، ثم تتمايل وتسّاقط لأعلى"

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

(١)

الظلام برّاق، والبلدة بأكملها غلّقت أنوارها إلا من ضوء خافت في بعض الشوارع، وهمسات تخرج من بعض البيوت تحتاج لمن يحل شفراتها، همسات متقطعة، وصرخات أطفال صاخبة، ونسمات هواء بارد تجبر الجميع على أن تظل الأبواب والنوافذ مغلقة تمامًا

البيوت من طين، تتراص جانب بعضها البعض مثل قطع الصلصال المتناثرة. تُزَاحِم المياه المتساقطة الفراغات بين البيوت، وتلك الفراغات في البيوت نفسها فتنفذ للداخل، حيث تقتل بعض الدفء

البرد يُخيِّم على المكان، والأمطار تتساقط في خجل، ربما في غير أوانها، أو ربما أن البلدة لم تعهد المطر منذ زمن بعيد، ولا يُسمَع سوى صوت بعض الضفادع التي لا تجد ملجأً ولا ملاذًا لها في هذا الماء المنهمر

ربما .. تغني هذه الضفادع فرحة بالأمطار

المطر .. خير، هكذا يقول الشيخ محمد وهو يسير في الشارع متكئًا على عصاه كي يفتح المسجد لصلاة الفجر، لا يعبأ بالماء ولا بالطين، يمسح عن وجهه قطرات الماء الباردة وينفضها عن لحيته البيضاء، يستند على ثلاثته ويذكر الله بصوت عالٍ يكسر صدى صمت البلدة المريب

fb/mashro3pdf

يرتبط الشيخ محمد بالمسجد أكثر مما يرتبط ببيته، بل إن المسجد هو بيته، ويعتقد أن هذا المسجد - أو ما يمكن تسميته الزاوية - هو تلك القطعة الجغرافية التي تربط بين الأرض والسماء، بين الحياة الأولى والحياة الأبدية، ويحزنه أنه غالبًا ما يصلّي الفجر وحيدًا !

الشيخ محمد، يُقال عنه في البلدة أنه ولي من أولياء الله الصالحين، والبعض يعده مجنونًا يعرف الله، فهو لا يتكلم مع أي أحد من أهل البلدة، وكأنه يحمل سرًا لم يستطع أي أحد فك لغزه حتى الآن

في هذا البرد القارس يبحث خالد عن شيء يدفئ به صدره الذي بدأ يمل البرد

في هذا الوقت المتأخر من الليل، يُبدع البشر في ممارسة كل ما هو شر

يحجب الليل عنّا بعض الخجل، ويبرع الضوء في تعريتنا حتى أمام أنفسنا

يجلس خالد في غرفته الضيقة ممسكًا بسيجارة دخانها أزرق، كثيف، يملأ الغرفة عن آخرها. شَبُّورَة تتوه فيها العقول

يعلم أيمن جيدًا أن صديقه خالدًا يقول أحسن ما عنده، عندما يشد أنفاس تلك السيجارة الزرقاء

fb/mashro3pdf

ومَن يعرف خالد أكثر من صديقه أيمن ؟! .. وهو صديقه منذ الطفولة وخليله وظله الذي لا يفارقه إلا نادرًا، أكثر من عشرين عامًا من الصداقة مدة كافية لتتلاقى تفاصيلهما سويًا، وتتلاقح، لتتشابه أرواحهما، ليكونا حقًا صديقين ..

fb/mashro3pdf

(٢)

تخرج أنفاسهما لتملأ الغرفة بالدفء، وخالد يجلس ساكنًا في مكانه رافعًا رأسه لأعلى، يتراقص ويدور مع خيوط الدخان التي تتصاعد في حركة دائرية، يتمايل معها ويدور بعينيه بانسيابية بالغة

يتوقف خالد مؤقتًا عن الرقص مع خيوط الدخان، وينظر لصديقه أيمن الذي يبدو عليه الحزن، ويبدو أن السيجارة لم تنجح بَعد في أن تجعله يتناسى همومه المعتادة، خاصة همّه الأكبر مع زوجته

يقول خالد: ماذا بك يا أيمن ؟ ..

يقول أيمن: أريد أن أجعل زوجتي تنتقب يا خالد، وهي ترفض بحجة أنه ليس فرضًا

يرد خالد: ولكن زوجتك محجبة وأعتقد أن هذا يكفي

يخبره أيمن أنه يريد أن يحميها من عيون ذئاب بلدتنا التي تنهش حتى البهائم المارّة في الطريق، ولا يسلم أحد من مُرٍّ ألسنتهم الفاجرة، وسهام كلماتهم المسمومة

يقول له خالد، وماذا ستقول إذا سمعت عما يسمى "الميكروجيب" الذي ترتديه فتيات المدن منذ بضع سنوات،

fb/mashro3pdf

وحكايات العُريّ الظاهر الآتية من العاصمة، هناك في هذه البلاد المجاورة البعيدة

لا يرد أيمن، ويتلذذ بمفعول سيجارته ودخانها الأزرق، يرفع عينيه لأعلي ليبدأ رقصته – هو الآخر– مع الدخان المتصاعد في تلك الشَّبُّورة التي تحويهما

يصمت كلاهما لفترة، بل تغط البلدة بأكملها في صمت عميق، لا يبقى سوى صوت المطر ورائحته التي يقاومها الدخان الأزرق من كل منفذ هواء في الغرفة الضيقة

فجأة ينفخ خالد دخان سيجارته في هذا الدخان المتصاعد من سيجارة صديقه أيمن كي يتوقف الأخير عن الرقص مع خيوط الدخان، وما لبث أن نفخ بكلامه – فيه– ما هو أكثر مفاجأة

يقول خالد: هل تعلم بأن المرأة المنتقبة أكثر إثارة من المرأة المتبرجة ؟

فيسأله أيمن في تعجب وذهول، وكيف ذلك ؟! .. ونحن نُفتن بما نراه من جسد المرأة، وكلما كانت المرأة سخية في عَرضها، زاد تمتعنا بعِرضها !

فأجابه خالد: المرأة المتبرجة تجعلنا نرى ما تريد هي أن نراه منها، بينما المنتقبة تخفي كل ما يمكن أن تراه عيناك...

لكن الشيطان يجعلنا نرى منها ما نتمنى أن نراه، ويرسم التفاصيل كاملة ..

fb/mashro3pdf

فالشيطان يعرّي لنا المحتجب عنّا في أجمل صورة ، ويرسم تفاصيل الأنثى أجمل مما هي كائنة

يرسم الشيطان لنا الأمنيات .. يرسم لنا دائمًا الأشياء الجميلة، وهو لا يملك القدرة على تحقيقها

الشيطان يُبدع في الخيال، ونحن نُبدع في التصديق، الإبداع واحد .. إنها عبقرية

يصمت أيمن مندهشًا، وينظر للسيجارة في تعجب، وكأن ما يسمع هو مفعول السيجارة، وليس مفعول الكلمات، ويُبدع – كالعادة – في تصديق كلمات خالد !

ألا تعرف يا صديقي أن الكلمات سحر والحروف إدمان ؟! .. يكمل خالد حديثه الذي بدا فيه يكلم نفسه

المرأة تعشق في الرجل جزءه الشيطاني، هذه الكلمات الجميلة التي تحوي كذبًا ونفاقًا

تضطر المرأة أن تُصدِّق ما تسمع، التصديق شر !

التصديق ليس جزء من الحقيقة، ولكن لأنه يحمل جزءًا من أمنية غير محققة، أمنية مؤجلة، فكل ما نريده هو رصيد من أمنيات مؤجلة

يردد أيمن كلمة "أمنيات أمنيات أمنيات" وتدمع عيناه ثم يضحك، ويقول بصوت متقطع نحن يا خالد لا نملك حتى أن نتمنى !

fb/mashro3pdf

يكمل أيمن ضحكاته الحزينة، ويشدّ أنفاس السيجارة التي كادت تنتهي، ويتمنى أن ينقذه أحد من فوضى كلمات خالد الطاحنة

fb/mashro3pdf

(٣)

المطر لايكف عن طَرق النافذة والبرد يحاول أن يخترق حاجز الدخان الرهيب الذي يملأ الغرفة دون جدوى، ويحاول أن ينتصر على الدفء في معركة فيها البقاء للأقوى لكن كلها محاولات تبوء بالفشل

مازال خالد ينظر إلى السقف ويدور مع خيوط الدخان التي ترتفع لأعلى، يسرح في تفاصيل ذكريات خاضها في سن مبكرة، تلك الأيام التي تفصل بين الطفولة والشباب، بين اللامسئولية والمسئولية، عندما خاض حرب العبور بينما كان ما يزال يُمنّي النفس بربيع الشباب

السادس من شهر أكتوبر منذ أربع سنوات عندما جاء خريف الحرب، حين هزمنا الشر المتجسد في الشيطان، إسرائيل، وتحول خريف الحرب إلى ربيع انتصار، عندما قهرناها، وثأرنا لشهدائنا وأحيائنا

إسرائيل .. شر

بدأ خالد يدمع بعد أن نطق هذه الكلمات، فالتقف أيمن دموعه، وسأله: لماذا تبكي وأنت تتحدث عن لحظة فخر، وساعات فرح، ساعات اختارك فيها القدر كي تصنع البطولة؟ .. وحرمني منها لعجز في البصر، وربما لو كان أساس الاختيار البصيرة، لكنت معك يا صديقي أكتب تاريخ المستقبل

fb/mashro3pdf

يهز خالد رأسه، والدموع تتسارع. دموع تتشابه كثيرًا مع المطر الذي مازال يدق النوافذ بحثًا عن مأوى أو ربما دفء مُفتَقد

يخبره خالد بأننا صنعنا الفخر ولكن لم نحصد سوى القهر

مازلنا كما نحن، مَحلك سر، كسبنا معركة وخسرنا معارك..

ألا ترى أحوال البلدة، كم هي بائسة، وعابسة، ويائسة .. كم نخسر شهداء بسبب الفقر في بلدتنا كل يوم ؟!

مازال الانتصار غائبًا أو مغيبًا عنّا، عُمّي علينا، لم يصل إلينا حتى الآن، ولم يخرج عن شخص الرئيس، رب العائلة المصرية.. وهل يجرؤ أحد أن يعارض أو يعترض على والده رمز الحرب والسلام ؟!

الحرب .. شر !

والسلام .. شر !

يبكي خالد، ويقول: مازال جسدي يحتضن علامة رصاصة غاشمة بشرف وكبرياء، وبجوارها يحتضن علامات رصاص الفقر بذل وهوان .. الضحية واحد .. أنا

ينفعل خالد أكثر ويعلو صوته، لماذا حاربنا كي نعيش أم كي نموت ؟!

في ذكرى الانتصار، ما قيمة الانتصار؟! .. أنْ يَفتَح لنا باب الحياة أم أن يُغلّقه علينا ونموت به ؟!

fb/mashro3pdf

الناس يعيشونَ بالانتصار ونحن نموت به يا صديقي !

نموت - نحن - في هذه المساحة الضيقة من صندوق الدنيا، وبالأعلى يغلق البعض علينا باب هذا الصندوق، ويجلسون عليه ويمنعون عنّا حتى الهواء

يموت بعض ممن يستحقون الحياة كي يعيش البعض ممن لا يستحقها !

النكسة أوجعتنا وقتلتني، وكانت سنوات الاستنزاف طريقًا للانتصار، استنزفنا العدو، ومعه أيام وليال، عُمر ضائع

تستحق مصر مني كل هذا، ولكن هل تستحق مصر هؤلاء؟!

هؤلاء الذين يسعون لسلام بارد، ويقتلون قوميتنا العربية، يقتلون ناصر الكرامة والعزة

يقول أيمن: ولكن يا صديقي، لم يكن هناك خيار آخر، وعن أي قومية تتحدث في بحر خلافاتنا العربية؟

أنت تعلم جيدًا أننا كنا نحارب الصهاينة، ومن ورائهم "ولاد الكلب الأمريكان" !

نحن كسبنا ما لم نكن لنكسبه ولو بَعد حين ...

يرد خالد في حسرة: هزمنا أعداءنا وخسرنا أنفسنا !

fb/mashro3pdf

دائمًا ما نضطر أن نقع فريسة خيار لسنا من صنعناه، ولعنة الجغرافيا توقعنا بين أوطان لسنا من اخترناها، ويسطر التاريخ دائمًا مَن هم وما هو على هوى الحكام وليس الشعوب!

مثل هذه السيجارة ودخانها الأزرق، التي تلهمنا قدرًا من التناسي، هي أيضًا خيار نحن فريسته

اختيار .. نحن له مُسيّرون !

وأحلامنا مثل هذا الدخان الذي يرتفع ويرتفع ويرتفع حتى يصطدم بسقف هذه الغرفة. لا تعلو أحلامنا أبدًا عن هذا السقف، رغم أن الكون أعلى منه بكثير، ورغم أن أحلامنا تستحق براحًا يتسع، براحًا لانهائي

هذا الدخان الذي يشبه بلدتنا البائسة تلك، التي تُبدع في أن تخلق فرعون ومن بعده فرعون ومن بعده فرعون، واليوم الذي يموت فيه فرعون، نقتل نحن موسى، ونبحث عن فرعون جديد، فرعون آخر

فرعون يحتوي سذاجتنا، ويحتوي ولاءنا المعهود .. ولاءنا للشر !

هل تسمع صوت هذه الأمطار ؟

هذه الأمطار تهرب من السماء كي تهبط إلى الأرض، ونحن على هذه الأرض نتمنى أن نرتفع إلى السماء

fb/mashro3pdf

ربما تدق الأمطار على النوافذ هربًا من شيء ما، تحاول اقتحامه لكن دون جدوى، وربما تبحث وراءه عن منفذ حياة .. ونحن وراء هذه النوافذ نبحث أيضًا عن منفذ حياة .. نصف حياة !

بيننا وبين الآخرين دومًا عدة نوافذ .. نوافذ مغلقة، يعتقدون هم أننا سعداء خلفها ويريدون أن ينفذوا إلينا منها، ونعتقد نحن أنهم أكثر سعادة منّا ونتمنى لو كنّا معهم، والنوافذ تفصل بين همّ واحد وتعاسة واحدة، ربما بين صورة لنا في مرآهم، وصورة لهم في مرآتنا

مرايا واحدة .. هم فيها صور لنا، ونحن فيها صور لهم ..

يلعن أيمن كلمات خالد الموجعة، تلك الكلمات التي أضاعت "الدماغ" التي قضى الليلة بأكملها من أجلها

ويلعن حال البلدة، وحال البلد، ويَهمُّ بالوقوف وهو متخبط من أثر الكلمات والسيجارة، وينوي الرحيل

يفترق الصديقان على موعد لقاء

ينام الليل قليلاً، ويهم الصُبح بالمجيء ..

fb/mashro3pdf

(٢)

اللبن لونه أسود !

"الشفاهُ لا تستطعم اللبن المتساقط من الأثداء
حين يختلط بالتراب، بل تشربه الأرض لتخرج لنا
من أحشائها وجعًا لا ينتهي يلهب أجسادنا العارية"

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

(١)

قبل أن يستيقظ الصُبح، يمر عامل تجميع الألبان على البيوت راكبًا عربة صغيرة على عجلتين يجرها حمار صغير يرتدي بردَعة مهترئة، والحمار لا يختلف كثيرًا في هيئته عمَّن يسوقه بملابسه المهترئة أيضًا، يضرب العامل الحمار بعصا غليظة تفتك بظهره المتعطش للدفء في هذا البرد القارس

يكتم الحمار أنّاته وتوجعه مثله مثل أهل البلدة أيضًا الذين ملّت ظهورهم عصا حمزة الغليظة التي لا تنفك تبطش بهم صباحًا ومساءً، ويسوقهم حمزة دون كللٍ أو مللٍ

حمزة، هو أشهر تاجر في الناحية، ربما التاجر الوحيد، تبدو هيئته رجل عادي، لا يهتم كثيرًا بمظهره، جسمه ضخم مترهل، عيناه بارزتان، معروف بوحمة سوداء كبيرة على خده الأيسر ومعروف ببخله أيضًا، يحمل شاربًا يغطي نصف وجهه الأسمر، ويرتدي طاقيّة من الصُوف لا يخلعها عن رأسه أبدًا، ودائمًا ما يرتدي جلبابًا أسود أو جلبابًا بُنِّيًا لا ثالث لهما، رغم ثرائه الفاحش !

في هذه البلدة، يبيع الناس أغلى ما لديهم، وأجمل ما وهبهم الله مقابل بعض المال، ويبررون دائمًا أن حاجتهم للمال تدفعهم إلى ذلك

fb/mashro3pdf

يشتري حمزة منهم كل ما قد ينفع شراؤه، يجمع الألبان، ويدفع فيها أقل من قيمتها بكثير، ثم يبيعها بعد ذلك بأثمان أكبر في المدينة

في المدينة، حيث لا يشعر بقيمة خير القرية إلا أهل المدينة وحدهم

هو يشتري كل شيء.. يسرق خيرات البلدة كلها

النسرقة .. شر

يظن حمزة أن خيرًا ما يفعل بأهل قريته، الباحثون عن البيع مقابل بعض الحياة، يتاجر معهم، يتاجر لهم، ويتاجر فيهم

يشتري منهم جميعًا خيرهم، ويشتري بعضهم أيضاً بعبقرية، يعلم جيدًا أنه طالما يمتلك المال والنفوذ، فهو يمتلك رجال البلدة بأكملها !

هو يراه في نظرهم أبًا حنونًا ...

fb/mashro3pdf

(٢)

بعد ليلة شاقة، كان فيها خالد في صراع مع الدخان الأزرق، يسمع الباب يدق بقوة

يظن خالد أن تلك الدقات هي ما تبقى من زحمة المطر وزخمه، بل يتمنى ذلك، ويحاول أن يكمل نومه

يدق الباب مرة أخرى، وصوت مُنادٍ، هو نفسه الصوت الجهوري الذي يسمعه كل صباح، صوت خاله حمزة الذي دائمًا ما يزعجه، خاصة وإذا كان هذا الصوت هو أول ما يسمعه بعد نومه، يستيقظ خالد وهو يشعر بصداع رهيب

يتمتم خالد بكلمات في عُرف القرية حرام، وفي شرع المدينة عيب، وفي صحيح الدين ذنب يقترب من الخطيئة، والمقصود من تلك الكلمات هو خاله بالطبع

"الخال والد" .. هذه هي كلمات أمه التي طالما ذكرتها لخالد كلما ضاقت به الدنيا أو ضيّق عليه خاله حمزة

يفتح خالد الباب، ويقتحم ضوء الشمس عينيه التي تقاوم الاستيقاظ، وتقتحم أشعة الشمس بيته المظلم

يقول له خاله هيّا يا خالد كي تفتح المحل، وتجهز الألبان كي نرسلها إلى البلاد المجاورة

fb/mashro3pdf

فيرجوه خالد أن يتركه قليلاً لأنه لم ينم إلا بعد صلاة الفجر، ويرجوه أن يكمل نومه ولو ساعة، ساعة واحدة فقط

فيقول له خاله، لا تستغل حبي لك كي تقصر في عملك، ولماذا لم تنم حتى صلاة الفجر يا خالد؟

فيجيبه خالد: الدخان الأزرق

يرد خاله بحزم: ماذا ؟!

يجيبه خالد سريعًا: كان أرقًا ، أعاني بعض الأرق

وفضّلت أن أنتظر حتى صلاة الفجر، كي أنام مرتاح البال، ثم أنك أيقظتني من حلم طالما انتظرته يا خال

أيّ حلم يا خالد ؟ ..

فيقول خالد: إنها أختك الغالية، أمي، كانت تحدثني عنك وتبعث لك السلامات، وتحكي لي بعضًا من ذكرياتكما معًا، أيام الطفولة، كم كانت ذكريات جميلة يا خال

حمزة والدموع في عينيه: أختي الغالية ؟! .. يا لها من فترة طويلة لم أرها فيها، عشر سنوات كاملة، كانت النكسة نكستين، ماتت مصر وماتت أمك في عام واحد، عام أسود، لا أطيق أن أذكره، قبل العبور بست سنوات، تلك السنة الكئيبة .. سنة النكسة

fb/mashro3pdf

يتنهد الخال ويكمل حديثه، أيام مرت سريعًا ، أتى الموت كما أتت النكسة، دون موعد أو سابق إنذار، كانت المرة الأولى التي نستشعر فيها ظلام البلدة آنذاك، رغم أن البلدة دائمًا مظلمة، مثل هذا البيت الذي تسكنه يا خالد ويسكنك

يخرج الخال بعد تنهيدة من مأزق الذكريات المفخخ، ثم ينظر إلى خالد، ويشكره على السلامات الآتية من الحياة الأخرى

ويقول له: "بركاتك يا شيخ خالد" ، وصلت سلاماتها، الآن سأتركك وأذهب إلى المحل فأجدك أمامي هناك

خالد ويبدو عليه علامات الضيق: " حاضر يا خال " !

fb/mashro3pdf

(٣)

يُغلق خالد الباب حتى يكمل اللعنات على خاله حمزة، فهو قد أيقظه من حلم جميل، وأيّ حلم؟!

إنه حلم بطلته تلك الفتاة التي يعشقها، ويتنقل بين أفراح القرية بحثًا عنها، وعن جمالها، إنها الغازية الحسناء "آمال"

ربما هي في نظر خالد المرأة الوحيدة التي كسرت قاعدة أن المنتقبة أجمل من المتبرجة

ربما هي المرأة الوحيدة التي يعجز الشيطان أن يرسم تفاصيلها أجمل من تلك التي اختارت هي طواعية أن تظهرها، أو تلك التي لم تختر هي أن تكون في هيئتها

هي المرأة الوحيدة التي استوى لديها قيمة المحتجب ومتعته مع ما قيمة اللا محتجب ومتعته، تَساوى الظاهر والباطن

كثيرًا ما يحلم خالد بها، وأكثر من مرة يحلم بالشيخ محمد وهو يضاجعها، وفي كل حلم، يحاول خالد جاهدًا أن يخبر الشيخ محمد أنه رآه يضاجع الغازية .. ويخرج له لسانه

فلا يجرؤ الشيخ على نصحي مجددًا بالصلاة، ونصحي بما يراه خيرًا .. هكذا يقول خالد في حزم مفتعل

الحلم .. شر !

fb/mashro3pdf

وماذا لو ألبستها نقابًا يا شيخ محمد كي تكتمل الإثارة ؟! .. وأوفّر على الشيطان عناء رسم المحتجب، وأبدع أنا في الخيال والتصديق، أحتكر الإبداع كما يحتكر خالي حمزة التجارة مع الناس، والتجارة في الناس .. يطرح خالد السؤال على نفسه ويضحك ويكمل غسل وجهه بالماء والصابون

وينظر إلى نفسه في المرآة ويقول: أستغفر الله العظيم .. "دي خِلقة الواحد يشوفها عالصُبح " !

ويمسح المرآة بيده، ليزيل صورته العابسة، ويزيح صورتها المثيرة، وخيال الشيخ محمد في أحضانها، وصديقه أيمن المختفي خلف عواصف الدخان الأزرق في الليلة الممطرة، وخاله الذي يجلس على كتفه الأيمن ويشد أذنه اليسرى كي يذهب للعمل، وهذا الجالس يضحك على كتفه الأيسر .. الشيطان الذي يرجوه أن يكمل نومه .. ولو ساعة واحدة .. ساعة واحدة فقط

fb/mashro3pdf

(٤)

أول معرفتي بالشيخ محمد كانت في طفولتي، أيام كان يحفظنا القرءان في الكُتّاب، وأول معرفتي به عن قُرب يوم أن أمر اثنين من أقراني، طوال الجسم وضخام الجسد، أن يمسكاني ويضعا قدمي في "الفلكة" وضربني على باطن قدميّ حتى كادت تدمي من الوجع، وتورّمت بعد حين

ومن هنا ساءت علاقتي به، وبدأت أكرهه، وأعانده بألا أحفظ شيئًا من القرءان، وأتفنن في الهروب من درسه، مرة بادعاء المرض، وأخرى بادعاء الموت، وثالثة بادعاء النوم، وإن فشلت جميع خططي، كنت أهرب مع صديقي أيمن كي نلعب الكُرة في أرض فضاء واسعة بعيدة عن مرمى الناظرين ممن يعرفونني

كنت أتذكر الشيخ محمد وأنا بالكاد أجري وأتوجع من الألم، فمازالت آثار ضربه لي حاضرة في قدميّ وصورهم كذئاب لا تكترث بصرخاتي الطفولية حاضرة في ذهني، وطعم الوجع مازال في حلْقي، فكان الشيخ حاضرًا معي في جدّي وفي لعبي

وأعود إلى أمي والعرق يتصبب مني والتراب يُغيِّر لوني القمحي إلى الأسود الغامق، وشعري الأسود يصبح مائلاً إلى اللون الأبيض، وأشبه أنا قطعة الطين التي زادها أحدهم بَلّة، وأكاد أشبه لون الزفت الغامق !

fb/mashro3pdf

تسألني أمي عن حالتي هذه وشكلي الرّث، فأخبرها بأنني بعد أن انتهيت من الدرس جئت إلى البيت أجري وقد تعثرت قدماي بكمية من الماء المُتسخ – ألقته إحدى جاراتنا– ووقعت على الأرض فأدت بي إلى حالتي تلك، وما أن أنتهي من حكاياتي حتى أنظر سريعًا إلى الأرض من الخجل، وتتظاهر أمّي أنها تصدقني

أمّي لا تصدق حكاياتي الكاذبة كل مرة، ولكنها تريد أن يظل الكذب ظنًّا لا حقيقة، وظلّ كذلك حتى أرسل إليها الشيخ محمد ذات مرة زميلاً لي في الكُتّاب يخبرها بأني أتغيَّب عن الدرس منذ فترة، فحزنت أمي مرتين، مرة لتغيبي ومرة لكذبي عليها، وربما حزنها كان أكثر بسبب كذبي، وتوجعت أنا لحزنها

لذلك كان الشيخ محمد يحضرني دون أن أستدعيه، وأكرهه دون أن أستعديه، ويلاحقني رغمًا عني وعنه !

وبعد أن أصبح كذبي حقيقية قائمة، حزنت أمي، ودخلنا في خصام رقيق يعصف بي، حتى صالحتها، وأخبرتها في النهاية صراحةً بأنني لن أذهب مرة أخرى إلى الكُتّاب، وسأكتفي بالمدرسة رغم مشوارها البعيد، وصحبتها الباهتة، وسأصير يومًا كما تتمنين يا أمي، هكذا وعدتها يوم أن قبّلت يدها اليمنى واستحلفتها أن تتقبل اعتذاري، وضمّتني إلى حضنها الطيّب وروتني بدمعها العذب، ودفأتني بأنفاسها العطرة

fb/mashro3pdf

لم يكن هذا هو الوعد الأول الذي أخلفه ولم يكن الأخير، فقد تركت المدرسة بعد أن ماتت أمي، واكتفيت بما أتعلمه في مدرسة حياتي اليومية، ودروس الزمن الذي لا يكفّ هو تلقيني إياها، دروس موجعة. وشجّعت أخي رضوان على الدراسة كي أرى فيه ما لم أستطع أن أفي أنا به معها

وكذلك صديقي أيمن يسير على دربي، ويفعل ما أفعله أنا حتى ولو كان خاطئًا، ترك المدرسة وبعد حين من الزمن فتح محل بقالة أجّره من خالي حمزة، واكتفينا بأن نتابع الصحف القديمة من آن لآخر أو تلك الصحف التي كان يشتريها لنا أخي رضوان من جانب المدرسة، في البلد المجاورة البعيدة

كنت رغم طفولتي أشعر أنني رجل البيت، في غياب أبي الأبدي، وكان عملي مع خالي حمزة من أجل أن أستشعر رجولتي تلك في كل قرش أعطيه لأمي، ونشوة أن أستشعر في عيون أمي رجولتي المبكرة تلك، وكان أخي رضوان بمثابة ابن لي، أرى فيه دائمًا أجمل ما فيّ، وأزرع فيه دائمًا ما كنت أتمنى أن أحصده مني

وبعد وفاة أبي وأمي، تحولت رجولتي المبكرة إلى شيخوخة مبكرة !

fb/mashro3pdf

(٥)

" كان يرتدي جلبابًا أبيض، ويجلس بجانب الراديو القديم ويمسك سيجارة لم تفقد بَعد إلا بعض أنفاسها، وأحملك أنا على يدي وأنت نائم وأحمل في بطني أخاك الذي كان لا يكفّ عن طرق أبواب الدنيا منتظرًا ساعة الخلاص، وينظر لي أبوك مبتسمًا ويطفئ سيجارته كي لايتعبنا الدخان، ويخبرني بأنه ينتظر الخبر السعيد ونحن في أواخر الشهور التسعة، ويمازحني بأنه لو زدتِ عن تسعة شهور فلتنجبيه بعيدًا عن هنا ويذكرني بملحمة أول أيام الشهور التسعة، كنت أحاول أن أضحك والوجع يحاصرني

كان أبوك باسمًا ضاحكًا كما لم أعهده من قَبل، وأخذ يذكرني بتلك الأيام التي مضت بيننا، أجملها وأصعبها، ويقول لي بأن أفضل ما رزقه الله به هو أنتِ، كنت رغم سعادتي أشعر بأن هناك شيئًا ما غريبًا لا أدركه !

لم أدرك يا ولدي أن الموت لا يدق أبواب الأحياء، ويُغّيبهم عنا في أكثر الأوقات احتياجًا لهم، ويتخطف أغلى الناس دون أن نحسن نحن حتى وداعهم، حيث تصبح الكلمات بعد الموت بلا قيمة، والبكاء لا يغسل وجع الفقد غيّب الموت أباك في نفس اللحظة التي احتضنت فيها الحياة أخاك، كنت أصرخ وأنا أفقد

fb/mashro3pdf

أباك، وأصرخ وأنا ألد أخاك، ويصرخ أخوك لأنه جاء للحياة، وتبكي أنت على صرخاتنا، كانت هي اللحظة الأصعب في حياتي، وأنا أفرح بمولد أخيك بحزن بالغ، وأحزن بوداع أبيك بفرح ميّت فالموت يقتلنا عندما يأتي ونحن لا نتوقعه أبدًا، فيأخذ من نحبهم على جواده ويرحل دون صخب منه، ولا يمنحنا مهلة للتوقُّع. فتوقُّع السيء نعمة كبيرة تعينك على التحمّل إن حدث، حتى وإن كان الحدث أكبر من قدرتنا على تحمله، والحنين شر يجعلنا نتوجّع حين الفقد والافتقاد حيث تموت قدرتنا على توقع أن يعود مَن مات وما مات، والإحساس شر حين يجعلنا نشعر بوجع الرحيل وتوقُّع الرحيل !

الموت لا يمنحنا أيضًا مهلة الشعور بمعنى الحياة، الحياة مع هؤلاء الذين سرقهم الموت منّا، والشيء الوحيد الذي لا يسرقه الموت منّا هو الذكرى، فالذكرى حياة لا تعرف الموت !

منذ ذاك اليوم الأخير الذي رأيت فيه أباك بجلبابه الأبيض وأنا لا أخلع عني ردائي الأسود، رغم أن الألوان ليست بالضرورة تعبيرًا عن الحزن، فالألوان بلا معنى، ونحن فقط من نمنحها هذا المعنى، ويُفرض علينا أن نقتنع بأن اللون الأبيض خير، واللون الأسود شر !

حاول يا ولدي أن تقتنص كل لحظات الحياة مع من تحبهم، لأن الحياة لا تعرف الانتظار، واللحظات التي تمر لا تعود ولن

fb/mashro3pdf

تعود، لا تؤجل اللقاء، ولا تركن للرجاء، ولا تُحسن الظَن بأن في العمر بقيّة، ولا تكن مثلي لا تحسن حتى الوداع "

كانت هذه كلمات أمي التي حاولت أن تجعلها لي دستور حياة، وقانون تعايش، وكانت دموعها تلهبني، وكان إخلاصها في الحديث عن ذكرى أبي يجعلني أشعر براحة كبيرة، وتمنّيت وقتها أن أُحسن اقتناص لحظات الحياة، وإن ضغطت، أن أُحسن لحظات الوداع، ولكن أعتقد أننا لا نُحسن لحظات الوداع إلا في الوقت الذي لا يحتمل وداعًا ، في الوقت الضائع !

وعدت أمي ولم أفِ بوعدي لها ، ولم أقتنص لحظات حياتي معها، ولم أُحسن وداعها، ولم أتذكر كلماتها إلا في الوقت الذي لايحتمل وداعًا .. في الوقت الضائع ..

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

(٣)

غربة تؤنس اغتراب

"الحاضر يحمل بقايا إنسان يتغذى على الذكرى والذاكرة"

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

(١)

يقف خالد في المحل، وصوت الراديو في القهوة المجاورة، يجلجل بصوت أم كلثوم " يا صباح الخير يللى معانا ..يللي معانا .. الكروان غنى وصحّانا وصحّانا"، وينظر خالد إلى خاله ويقول في سره نعم يا ست، "الكروان غنّى وصحانا" .. ويياله من كروان سمج !

يشرب خاله "الشيشة" تحت شجرة فارعة تظلل جانبًا كبيرًا من المحل والقهوة معًا، ويحاسب أحد فلاحي القرية الذي يبدو عليه علامات الضيق والضجر من ظلم حمزة له وبخسه الأشياء قيمتها، يأخذ الفلاح من حمزة المال ليدفع نصفها في القهوة

حمزة صاحب القهوة أيضًا ..

يمشي الفلاح وهو يلعن الحرب التي طالما تَحمّل الفقر لأجلها، ودفع ضريبتها سنوات من العمر قبل أن يُقال أنها ستبدأ، ودفع ضريبتها سنوات من العُمر حين أعلنوا أنها بدأت، ثم دفع ضريبتها سنوات من العُمر بعد أن انتهت .. سنوات بطعم المر والعلقم

الآن، وبعد أن انتهت الحرب بأربع سنوات، مازالت البلدة غارقة في النسيان، تلك البلدة التي خسرت خيرة شبابها في الحرب، وتُركت لجشع هذا التاجر الأوحد

fb/mashro3pdf

طالما أن كل موارد القرية من لبن بهائمها وخير الأرض التي لم تَعُد تمنح سوى القليل، سيظل الجشع

الجشع .. شر !

تمنى الفلاح، أن تقوم الحرب مرة أخرى كي تأخذ هذا الرجل الجشع ..

فالحروب تقوم كي يبقى البشر ويموت الشر، فيبقى الشر ويموت البشر بعبقرية شديدة. عبقرية الديمومة والاستمرارية، والتلّون بأشكال وأساليب عدة

يسمع خالد كلمات هذا الرجل، فيزيده همًّا على هم، وحسرة على حسرة

لا يرضى خالد بما يفعله خاله بالناس في البلدة وما يفعله خاله بأهل المدينة، حيث يشتري حمزة من الناس اللبن بأسعار زهيدة في البلدة، ويبيع اللبن مخلوطًا بالماء لأهل المدينة، فهو يحرم أهل القرية من خيرهم ويمنع عن أهل المدينة طعم الخير الحقيقي

ويكره خالد أيضًا بُخل حمزة، لكنه مضطر أن يعمل في هذا العمل الذي لا يُرضيه كي يجني بعض المال بالإضافة إلى بعض الجنيهات القليلة التي يأخذها من الجيش، لأن الرجل لايستطيع أن يكون بدون عمل حتى لو امتلك بعض المال

الفراغ .. شر !

fb/mashro3pdf

خالي حمزة دائمًا ما يعدني، ولا يفي بوعوده، وأنا تعلمت ألا أبني أحلامي على وعود الآخرين

في لحظات صفاء درامية نادرة، يقول لي خالي حمزة، أنت وأخوك رضوان سترثان كل ما أملك، هذا هو الوعد الذي لن أخلفه أبدًا يا ابن أختي

يرى خالد دومًا أحلامه في مكان أفضل من هذه البلدة الحزينة، ولكنه ارتبط بالمكان، ومهما كانت بلدتنا سيئة، فهناك أمل أن أراها أفضل

fb/mashro3pdf

(٢)

هناك أمل، متى سيعود أخي رضوان من سفره الطويل في لندن .. ومتى ينهي دراسة الطب، وأفتخر أنه أول وآخر طبيب خرج في بلدتنا

متى يعود كي نبدأ حياة جديدة، حياة أتمناها، نتزوج في نفس الليلة كما اتفقنا منذ سنين، إنها وصية أمنا الأخيرة

آه يا رضوان، يا أخي العزيز، أخذتك الغربة مني تسعة شهور، تحملت فيها ما تحملته من وجع حَمل الغربة وحِملها، وصعوبة مخاض الانتظار، وأنتظرك أن تأتيني قريبًا كي تولد حياتي الجديدة على يديك، أتمناها غربة لا تطول

ولدتك أمك بَعدي بسنتين، نفس الليلة التي ودّعَت هي فيها أبانا

مات هو من فرحته بمولدك يا ترى أم أنه مات من ألم الحياة نفسها ؟! .. لا أحد يعرف

لا أحد يهتم في بلدتنا بأخبار الموت والموتى، لأنه لا أحد يهتم حتى بأخبار الأحياء

في بلدتنا يستوي الموت والحياة !

fb/mashro3pdf

كما كان يقولها صديقنا جورج دومًا: " دع الموتى يدفنون موتاهم"

الموت دائمًا ما يأخذ أفضل الناس، ويترك مَن هم مثل خالي حمزة، والغربة تبعدني عن أقرب الناس لي، الغربة تعادل نصف موت !

لا أعلم ما حكمة القدَر في أن يكون أبعد الناس عن قلبي خالي حمزة هو أقربهم لي، وأقرب الناس إلى قلبي أخي رضوان هو أبعدهم عني، المسافات بين القلوب ليست بالكيلومتر وحسابات الجغرافيا إنما بالإحساس وحسابات المشاعر، فهناك شخص قد يكون بجانبك لكنه أبعد الناس عن قلبك وشخص آخر هو أبعد الناس عنك لكنه أقربهم إلى قلبك !

fb/mashro3pdf

(٣)

يأخذ الموت مَن هم مثل صديقي جورج، كان وحيد أمه، وأصّر على الذهاب للحرب، أعلنها صراحة أن أمه الكبرى تحتاجه وتجتاحه، وأننا لو استعدناها ستستعيدين يا أم جورج حياتك أيضًا

كان مغلوبًا على التضحية بوازع ضمير .. ضمير يموت على أطلال بلدتنا ليل نهار

صوت جورج يرن في أذنيّ؛ "ثم أنني سأعود إليك يا أمي، والمسيح الحيّ"

ألم تعلميني من تعاليم المسيح أنه " لا يستوي حب الدنيا وحب الآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في إناء"؟!

– وهل لا تستحق مصر مِنّي تضحية بحجم الحياة يا أم جورج؟!

– بل تستحق يا ولدي كل تضحية، حتى لو كانت التضحية موت، موت بطعم الحياة

نعم يا صديقي جورج، كنا نسمع حواركما ونحن – في صمت – نتعلم

fb/mashro3pdf

كنت حَواريّ، وكنّا صحابتك

وكان الشيخ محمد يتداخل من بعيد مع جورج وأمه، ويقول: الإسلام يعلمنا أن ما من عمل بعد معرفة الله ورسوله أفضل من بغض الدنيا، وأنت تبغضها حقًا يا جورج

كان جورج أقرب صديق للشيخ محمد، رغم فارق السن الكبير واختلاف الدين، كان دينهما العقل والتعقل، الفكر والتفكر، فخلقا السعادة لنا جميعًا، كان كلاهما – الشيخ وجورج– صورتين نقيتين لدينين مختلفين، فالأديان نقيّة مثل المرايا، ونحن البشر من نمنح صورًا للأديان بتصرفاتنا وأفعالنا، فالصور غير النقية هي إنعكاس للأشخاص وليست للأديان

كان جورج هو أكثر مَن يجعل الشيخ محمد يتكلم ويضحك ويخرج عن صمته المعهود، مثلما كان جورج أيضًا يمنح بعض الحياة لأهل قريتنا الميتة، كان بشوشًا، كثيرًا ما يضحك ويضحكنا

كان شعره الأصفر يلمع في ضوء الشمس فيُضيء البقع المظلمة فينا، وتشع عيناه الخضراوان بهجة تُقذَف في القلوب. كانت أم جورج تفخر بأن ابنها يشبهها وهي صغيرة

– هو صورة مني يا خالد، هكذا تخبرني

– لكنني رجل يا أمي ! .. يقولها جورج لأمه في خجل مصطَنع وعتاب معسول

fb/mashro3pdf

كنا نضحك جميعًا، وترتفع ضحكاتنا حدّ السحاب

اليوم الذي دفناه فيه، دفنّا آخر ضحكة من القلب، وغربت شمسه عن بلدتنا فتركنا في ظلام دامس، ووضعنا التراب فوقنا جميعًا ، لا نعرف هل جورج هو من مات أم نحن مَن متنا .. لا نعرف مَن يدفن مَن

كان وجعًا لا حدود له، كان الفيضان الأول الذي تعهده قريتنا منذ وقت بعيد، فيضان دموع على وداع جورج، ووجع أمه .. وجع الفراق

آه من وجع الفراق، كم نشعر بقيمة البشر بعد فراقهم، وكم نفتقدهم بعد أن نفقدهم

ماتت أم جورج حزنًا على ولدها بعد بضعة أيام من وداع ابنها جورج، ومازالت بلدتنا في حزنها

لا جديد !

لا جديد.. بل وتموت بلدتنا كل يوم حزنًا على ولد يموت

أنا أستحق أكثر من ذلك، مكان أفضل من هذا وأستحق أناسًا حتى أفضل من هؤلاء، هكذا يتحدث خالد مع نفسه

fb/mashro3pdf

(٤)

يقول له خاله حمزة: ماذا تقول يا خالد ؟

يخبره خالد أنه يغني مع السِتّ ..

فيخبره خاله بأنه أمر الصبي بإغلاق الراديو منذ نصف ساعة، وأنت تعتقد أن الست مازالت تغني في الراديو وأنت تغني معها..؟!

يقول خالد، إني أضحك معك يا خال، أنا انتهيت من تعبئة الألبان، وهي جاهزة كي ترسل إلى المدن المجاورة

يسكت حمزة، لأن خالدًا لم يقل له جديدًا

يسكت خالد .. وأخذ يمنع ألف خالد بداخله من أن يضرب هذا الخال المتربص، صاحب العمل، التاجر الجشع، صاحب القهوة، وأخذ يلعن الظروف التي جعلته يعمل في هذا المكان اللعين، وجعلت هذا الرجل خاله

ينهي خالد حديثه، ويكمل عمله، وينتظر ساعة انتهاء العمل، لحظة الإفراج عنه من سجن الخال حمزة ..

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

(٤)

بداية ليس لها آخر !

"ثورة، انتفاضة، هوجة ..المهم أن ثمة أناس يتحركون وسط كل هذا السكون القاتل وهذا القتل الساكن"

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

(١)

يناير/ كانون الثاني ١٩٧٧

يلتف أهل البلدة جميعًا حول الراديو الموجود بالقهوة، ويأتي خالد من بعيد بخطوات مسرعة، يشعر أن هناك حدثًا جَللًا، الكل واقف ماعدا خاله حمزة يجلس مكانه ولا يعبأ حتى بما ينصت الناس إليه

الناس لا يلتفون هكذا ويهتمون في بلدتنا سوى لمباريات كرة القدم فقط، هكذا يقول خالد لنفسه قبل أن يصل عندهم

الراديو يعلن عن خروج بعض المصريين من الطلاب والعمال للمطالبة بتحسين مستوى المعيشة، وتنديدًا بارتفاع الأسعار

وإذاعات أخرى تتحدث عن حدوث شد وجذب بين الطلاب والعمال من جانب وقوات الشرطة من جانب آخر، بين إلقاء الحجارة وإلقاء الرصاص المطاطي

وإذاعات تتحدث عن أنها انتفاضة

خالد يقول إنها ثورة .. الثورة خير

إنها انتفاضة من أجل الخبز والحرية

fb/mashro3pdf

أهل البلدة صامتون كالعادة، لا يكسر صمتهم سوى صوت رجل عجوز، بالكاد يتكلم، يقول في سعادة خجولة وبانفعال غير مفتعل: "دي ولا ثورة تسعتاشر" !

فيقول حمزة بضحكات ساخرة: ثورة !!

أنتم لا تستطيعون أنْ تثورا على أنفسكم حتى، كي تتحدثوا عن ثورة

يتداخل خالد بانفعال: الثورة هي قناعة قبل أن تكون فعل، وطالما خرج الناس كي يدفعوا الظلم فهي بداية الثورة

صوت حمزة يجلجل: سوف يتم دهس هؤلاء الذين خرجوا كي ينشروا الفوضى بين الناس، إنهم لا شيء، قلة يجب نزعها من المجتمع، كي يستمر في حركته

فيرد عليه خالد بنبرة مرتفعة: تقصد يا خال كي يستمر الغني غنيًّا، والفقراء فقراء، كي يظل خير البلدة لغير أهلها !

يقول له خاله: لن يضيعك سوى "ماركوس" الذي تقرأ له وتحبه، وسوف تُضيِّع أهل البلدة جميعًا معك يا خالد

يرد خالد بنبرة استهزاء: اسمه ماركس يا خال، والحمد لله على نعمة القراءة !

أتعايرني بالقراءة يا خالد وتعايرني بجهلي ؟! ..

fb/mashro3pdf

إذا كانت القراءة غذاء الروح كما تضحك على أهل القرية، فأنا مصدر غذاء الجسد الذي قد يبلى إذا أنا منعت عنه الغذاء

هل سيترك أهل القرية غذاء أجسادهم، كي يُطعِموا أرواحهم الفقيرة !

أنا لا أقرأ، لكنّي امتلك البلدة جميعها، بيوتها وأهلها وخيرها

هل منكم من يريد أن يثور عليّ ؟!

هل أرواحكم تدفعكم أن تقتلوا أجسادكم ؟!

هل الجانب المعنوي فيكم يريد أن يقتل جانبكم المادي ؟!

يصمت الجميع حتى خالد

نعم أعلم أن ردكم صمت، سوف تخسرون حياتكم إن حاولتم البحث عن حياة أفضل

مفتاح حياتكم معي .. أنا وحدي

صوت الراديو: تم السيطرة على الخارجين عن القانون في القاهرة، وتم القبض على الكثيرين منهم

يضحك حمزة ..

وتبكي البلدة دون صوت

يقول خالد: الظالم لا يعتقد أبدًا بنهايته .. وهذه هي بداية نهايته !

fb/mashro3pdf

(٢)

يجلس خالد مع أيمن في محل البقالة الذي يملكه الأخير، بعيدًا عن القهوة وصحبها وصخبها، يستظلون فيه من كلمات حمزة الحارقة وصمت البلدة الموجع

يخبره خالد، بأن اليوم وُلدت ثورة وقُتلت، وأهل البلدة لا يهتمون، لا يأبهون حتى

فيقول له أيمن: أهل البلدة انشغلوا باللقمة التي يلقيها لهم خالك عن أي شيء آخر

يرد خالد: ولماذا ينشغلون عن الحياة الأفضل بحياة أقل؟

يقول أيمن: لأنهم يعلمون جيدًا أن القضاء على حمزة، هو قضاء على حياتهم

مَن غير حمزة معه المال والسُلطة ؟! .. لا أحد

حتى أنت يا خالد، أنت الوحيد الذي يقول ويتكلم، لمجرد أن الوصل بينكما أكثر من علاقة التاجر بمن يتاجر معهم ويتاجر فيهم، علاقتك بخالك مهما وصل فيها هو من الضيق، ستظل موصول به، وهو موصول بك، وصل دون انقطاع

فيقول خالد في انفعال: أنا لا أتكلم إلا عن قناعتي، ولو كان أحد غير خالي يفعل بالبلدة ما يفعل، لواجهته، وقلت ما أقوله دائمًا لخالي

fb/mashro3pdf

أنت تكذب على نفسك يا خالد .. أخبرني إذن لماذا أنت مستمر في العمل معه، رغم بخله وتسلطه وظلمه للناس

هو يبيع الوهم للناس فقرًا، وأنت تبيع الوهم للناس فكرًا !

لماذا توافق على خلط اللبن بالماء ؟!

لماذا تعمل معه وأنت غير راضٍ عنه وعما يفعل ؟!

فيجيبه خالد: لأنه المكان الوحيد في البلدة الذي يتوفر فيه عمل .. أنت تعلم أن الرجل دون عمل لا قيمة له، كما أنها وصية أمي لي ألا أفارقه رغم شره !

فيقول له أيمن: غايتك تبرر الوسيلة، أنت تعمل معه رغم شره لأنك تحتاج إليه

أنت تراه شرًّا، وهو يراك شرًّا

كذلك هم أهل بلدتنا، مثلك، يعملون معه رغم شره لأنهم يحتاجون إليه

الفارق بينك وبينهم، هو أنك تتكلم فقط، وهم يسمعون فقط !

وخالك يفهم ذلك جيدًا، ولذلك لا يشغله كلامك الكثير ولا استماعهم القليل

فيقول له أيمن: هو يتوهم الفهم، مثلك يا أيمن، لا ترى أبدًا سوى نصف الكوب الفارغ

fb/mashro3pdf

خالي يحاول دائمًا كسر الكوب، كي لا يُفرِّق أهل البلدة بين الأمل واليأس، بين الخير والشر

كي تختلط المتناقضات وتتوحد، كي يخسروا قيمة أن يشعروا حتى أنهم يستطيعون !

يخوّفهم بتلك الشظايا المتناثرة التي قد تجرح الأمل فيهم، ولا يعرفون أن بداية الأمل ألم

مَن يستطعم طعم الفرح إن لم يكن في حياته هذا الهامش من الحزن يا صديقي ؟!

خالي يريد دائمًا أن يجعلهم محاصرين بالخوف والذل والصمت

لا يحاصرهم بقوته، لكن يحاصرهم بضعفهم

لا يحاصرهم بعلمه، لكن يحاصرهم بجهلهم

هو يستمد جبروته وطغيانه من تفرقهم وانشغالهم بأنفسهم

انشغالهم بفرديتهم الطاغية عن طغيانه الفردي

يزرع فيهم الأنانية و"الأنامالية" كي يظلوا دومًا جَمعًا لا يُجمع، وأفرادًا حدّهم التنافر لا التجاذب

هو ينجح في خلق تلك المسافات التي تُبعدهم عنه، وتُبعدهم عنهم

fb/mashro3pdf

تلك المسافات التي تحتاج فقط المحاولة .. شرف المحاولة

المسافات التي لو اجتازها أحد لكشف عن قوته الحقيقية، ولكشف عن قوهم الحقيقية ..

تلك القوة الخفية، غير الملموسة، التي تعدل الموازين إن مالت، وتُعيد الحق إن سُلب، وتردع الظالم إن ظَلم

كي تعود القاعدة قاعدة، ويعود الاستثناء استثناء

كي تختفي المتناقضات، ويختفي الشر

هذه القوة التي حدّثنا عنها الشيخ محمد ذات مرة قبل أن يهجر الكلام ويهجرنا ويجنح إلى الصمت، بأنها هي يقين بتوكل في وجود الله، قاعدته العمل والأمل

ولكن مَن يستحق أن يُعايش هذه القوة، ويُشفى برحيقها

أنا نفسي لا أستحقها يا صديقي !

اليوم الذي يفكر فيه أهل البلدة في التغيير، سيحدث، لكن طالما ظلوا مثلك يا صديقي لا يفعلون ولا يتكلمون، وطالما ظلوا مثلي يتكلمون ولا يفعلون، فستظلون هكذا، سنظل هكذا

دعني أزرع فيهم الوهم فكرًا، فقد أموت أنا وتعيش فكرة، ففي الفكرة حياة

fb/mashro3pdf

ودعه يزرع فيهم الوهم فقرًا حتى يضطروا أن ينتزعوا حياتهم من بين فكّيه يومًا ما

يوم، سيصل الطغيان فيه إلى قمته، ويوشك الوضع على الانفجار، انفجار خلاق، نوره يُضيء وناره تحرق. يوم قد يصنعه هؤلاء القادمون من بعيد .. أناس أفضل منّا

فالحرية لا تأتِ إلا لمن يستحقها، ونحن مازلنا لا نستحقها، ولا نستحق الحياة حتى يا صديقي !

fb/mashro3pdf

(٥)

رسالة

" الحروف تحمل في تكوينها أربعة: حماس، رجاء، وفاء، فراق، وبينها فواصل تنتهي دائمًا بعلامة استفهام واحدة وعلامات تعجب كثيرة"

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

(١)

فبراير/ شباط ١٩٧٧

الباب يدق في الصباح الباكر كالعادة، ولكن هذه المرة صوت مختلف عن خاله حمزة الذي اعتاده، حتى ألفه، وخالد مازال على السرير، يحاول ألا يكترث بتلك الدقات المزعجة، لكن دون جدوى

يقلق خالد من نومه، ويقول: القادم دائمًا شر ..من هذا الذي يقصد بيتي في هذا الوقت غير خالي حمزة ؟!

يفتح خالد الباب ..

فيجد أمامه البوسطجي يحمل على كتفه الأيمن حقيبة، مليئة بالخطابات، ويضع قلم على إحدى أذنيه وينظر لخالد في تعجب من هيئته

وما أن يراه خالد حتى تتسارع دقات قلبه ويشعر بأن رائحة الأحباب مطوية في أحرف إحدى هذه الخطابات، إنه أخي رضوان

يسأله البوسطجي: هل أنت خالد ؟

يجيبه خالد في لهفة: نعم

يقول له البوسطجي: معي خطاب لك من أخيك رضوان

fb/mashro3pdf

خالد يكاد يقفز من الفرحة، يُقبّل البوسطجي، يحضنه. يكاد البوسطجي يقع أرضًا من أحضان خالد، فيخبره البوسطجي أنه لن يسلمه الخطاب إلا بعد أن يعطيه "الحلاوة"

يُخرج خالد سريعًا عدة قروش من جيبه يعطيها له

اللهم لك الحمد، اللهم لك الحمد .. أخي رضوان .. أخي رضوان

خالد في فرحة شديدة، يوقّع باستلام الخطاب، يشكر البوسطجى ويغلق الباب قبل أن يرد البوسطجى عليه التحية

يجلس خالد على السرير، يحاول فتح الخطاب برفق

قبل أن يقرأه، يشمّه، رائحة رضوان، رائحة الأحباب التي اشتقت إليها كثيرًا

fb/mashro3pdf

(٢)

يفتح خالد الخطاب، يقرأ ما فيه ..

" إلى أخي وتوءمي الذي لم أفارقه رغم الفراق/ خالد

تحية طيبة إليك، وإلى خالي حمزة، وإلى أهل بلدتنا الطيبين

إني أكتب إليك والدموع تتسابق كي تفوز بمساحة ما في هذا الخطاب كي تراك بمجرد الوصول، أمنية مساحة بحجم حرف أو نصف حرف أو نقطة أخطأها الحبر فأضحت حقيقة قائمة، وتقفز مشاعري على كلماتي تلك التي أكتبها وتسابق أمواج تلك الحروف المتناثرة شوقًا كي تصل إلى بر مصر .. عندك حيث المستقر والمستودع

كم أشتاق إلى كل لحظة قضيناها سويًا، وإلى كل بيت بنيناه صغارًا من الطين أمام بيتنا الكبير، وتقاسمنا فيه ومنه ما يرضيك ويرضيني، تلك البيوت التي سريعًا ما جرفتها الأمطار كي يبقى البيت الكبير رغم أنه من طين أيضًا ، ولنتعلم أن تكون أحلامنا بحجم هذا البيت الكبير كي لا تجرفها أمطار اليأس يومًا

كم أفتقد ليلة واحدة من ليالي السَمَر، حين كنّا ننسى همّ بلدتنا على أعتاب ضحكاتنا سويًا، وكم أستشعر الغربة غربتين، غربة عنك وغربة عن بلدي

fb/mashro3pdf

أطمئنك على حالي، فأنا بخير، ولا ينقصني سوى رؤيتكم، وأتمنى أن تكونوا بخير جميعًا

بعيدًا عنك وعني، حيث لا و لن ينتهي كلامنا العذب، لا تتخيل فرحتي وأنا أتابع ثورتنا المصرية على التلفاز، في لندن، وأشاهد الصور لأناس خرجوا كي يطالبوا بكرامتهم، الجميع هنا كان مهتمًا ، وكل الإذاعات العالمية كانت مشغولة بالانتفاضة المصرية

كانت معظم وسائل الإعلام تتحدث عن هروب الرئيس إلى إيران أو أمريكا، كنت أتابع الثورة في يومي ١٨و١٩ يناير، لم أنم فيهما، ولم أنم بعدهما من بطش النظام في صدّها، وحزنت لدماء الأبرياء

لم أحزن من يوم مولدي كما حزنت يوم أن سمعت لقاء الرئيس مع قناة أمريكية عما حدث، حين أخبرهم بأن من قاموا بهذه الأحداث "حرامية" و"أوباش"،وحينما تعجب المذيع من هذه الكلمات القاتلة، وسأله هل تصف شعبك بهذه الأوصاف، فعاد رئيسنا وأكّد هذه الصفات التي قتلتني،وجعلت الغربة ألف غربة!

أعلم أنك ثوري منذ مولدك، ماركسي الهوى والهُوية، وأعلم حزنك على الثورة التي قُتلت، لكن لا تحزن .. الثورات لا تموت، لكنها تنتظر حتى يأتيَ مَن يستحقها

بعيدًا عن مصر وثورتها التي اغتيلت وهمومها التي لا تنتهي، أتمنى أن تكون تخلصت من علاقتك غير الشرعية وغير المشروعة

fb/mashro3pdf

مع آمال، أخشى أن تكون قد تزوجتها يا خالد، وأتمنى أن تفي بوعدك معي أن تنتظرني حتى أعود كي نتزوج سويًا كما أوصت أمي رحمها الله يا أخي الأكبر

وأعتقد أنك لو رأيت بنات لندن، لقتلت آمال، ونفرت من كل بنات بلدتنا، فالبنات هنا مثل قطعة الحلوى ولون اللبن الصافي، وليسوا مثل بنات بلدتنا اللاتي يشبهن اللبن الذي تخلطه بالماء أنت وخالي حمزة !

أتمنى أن أرى مصر أفضل حالاً، وأن تكون تطلعات المصريين بحجمها، بحجم البيت الكبير، وأعدك أنني في أقرب فرصة سأعود إلى مصر كي أراكم جميعًا، وسلامي لكل أهل بلدتنا، وإلى خالي حمزة .. أراكم على خير "

fb/mashro3pdf

(٣)

ينتهي خالد من قراءة الخطاب، الذي أسعده وأبكاه وفاجأه

أسعده أنه أخيرًا اطمأن على أخيه بعد غياب طال، وأنه بخير، وأنه سيعود كي يعود معه الأمل وطعم الحياة الجميلة التي لا يستشعرها إلا معه

و أبكاه طول الفراق وتذكر ليالي السمر الجميلة التي جمعته بأخيه رضوان، وتلك الحكايات التي جمعتهما

وفاجأه أن تلك الانتفاضة التي كتب عنها أنها انتفاضة خبز استمرت يومين وليس يومًا واحدًا، وكذلك أن هناك شهداء سقطوا، وأن الزخم الإعلامي وصل بها إلى أن يتحدث عنها العالم أجمع، وتلك الحكايات عن مصر التي وُئدت ثورتها دون صخب

ضحك خالد عندما كتب له رضوان عن آمال، وضحك أكثر عندما كتب له عن اللبن المخلوط بالماء، ثم بكى الغربة الموجعة، وكان ضحكه موجوعًا ، أخذ يفرح ويحزن، يضحك ويبكي ..

وبعد أن أنهى خالد تلك النفحة الصباحية، علّق خطاب أخيه رضوان على الحائط كي يراه كل يوم، ويتطلع إلى كل حروفه، كي يرى رضوان بين تلك السطور التي حملت فرحًا وحزنًا

fb/mashro3pdf

وقبل أن يكمل خالد تلك اللحظات الجميلة، دّق باب البيت، والصوت الجهوري المألوف ينادي

يفتح لخاله، ويعتذر له عن التأخير، ويقول له رضوان قد أرسل لي جوابًا يا خال

فيبتسم خاله، وكيف حاله .. هل هو بخير يا خالد ؟

يطمئنه خالد ويقول له، لقد أرسل لك سلامات، وطمأنني بأنه سيعود في أقرب فرصة

سيعود قريبًا يا خال

يهز خاله رأسه، ويقول الغربة تسرق الناس دون أن يشعروا، وأتمنى ألا يُسرق رضوان منّا

هيا يا خالد، كي تذهب إلى المحل، فأمامنا يوم طويل وشاق..

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

(٦)

عبَقُ البدايات

" الحب يحتاج غالبًا إلى قلب يشعر وعقل يفكر،
وأحيانًا يحتاج إلى عقل يشعر وقلب يفكر "

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

(١)

على المقهى، يجلس أيمن وكأنه يحمل همّ الدنيا بأكملها على كتفيه العريضتين، يراه خالد، فيداعبه، يحاول أن يقتنص منه اعترافًا لكن دون جدوى

صوت الراديو يعلن وصول الرئيس السادات إلى القدس كي يُلقي خطابه عن السلام في الكنيست الإسرائيلي

يصمتان فجأة ..

يتوقف الزمن عند لحظة الصمت الطاغية عليهما ..

يضع الصبي الذي يعمل في القهوة طلبهما، ويسألهما عن شيء آخر يريدانه، يهزان رأسهما بالرفض

وما أن يمشي الصبي، حتى ينفجر أيمن في الكلام، إنني نادم أني تزوجت، وأحسدك على أنك لم تتزوج بَعد، الزواج كالحرب، حرب باردة، وأنت دائمًا في موقع هجوم أو في موضع دفاع أو مضطر لعقد سلام .. سلام بارد !

الزواج .. شر !

فيسأله خالد، لماذا يا صديقي ؟

fb/mashro3pdf

فيرد أيمن: زوجتي يقينها الشك، وبعد أن هجرت أمها الحياة، هاجرت ضحكة زوجتي معها ولم تعد حتى الآن .. رغم طول السفر

أصبحت تشك في كل تصرفاتي، لدرجة أنها جعلتني أشك في نفسي

تستيقظ من نومها ليلاً، ولا تجدني بجوارها على السرير، أول ما يخطر في بالها الخيانة

هل هناك ما يحرم الماء الذي جعل منه الله كل شيء حي، تتعجب من كوني أشرب في منتصف الليل، ولا تتعجب من أنها هي ربما استيقظت لنفس السبب أيضًا

هل أتعجب أنا الآخر من كونها تشرب في منتصف الليل ؟!

عندما أتأخر بعض الوقت عن موعد عودتي، أدخل عليها حاملاً ابتسامة ترضيها وتراضيها عن التأخير غير المقصود .. ولكن دون جدوى .. دائمًا ما يخطر في بالها الخيانة !

الخيانة هي الإجابة الجاهزة دائمًا عند المرأة، عندما تفكر في زوجها

يرد خالد: المرأة لا تبني الخيانة في تفكيرها، إلا على أخطاء الرجل، أخطاء تستحق الشك

فيقول له أيمن: أنا لم ولن أخونها يا صديقي، لأنني – باختصار– أعشقها، قَدْر خيانتي لها أن أخونها معها فقط

fb/mashro3pdf

يتعجب خالد من كلام صديقه الذي ربما مازال الدخان الأزرق يؤثر عليه، وكيف تخونها معها .. أسحر هذا ؟!

فيقول أيمن: ألم تخبرني بأن الكلمات سحر والحروف إدمان ؟

أخونها معها بأن أعود لأحتضن كل ذكرياتنا سويًّا، وتلك الصور التي سجلت لحظات فرح

أحتضن كل تفاصيلي معها وألقيها في بحر يومي، وفي وجه همومي

أستدعي ضحكة لها مازالت تجلجل في أذنيّ

أمسح دموعًا لها قد غالبتها يومًا، وقت وداع إجباري بيننا، وداع مؤقت

وقت تربُّص الزمن بنا في البدايات .. آه من البدايات يا خالد

كم أشتاق إلى النظرة الأولى ..

الضحكة الأولى ..

اللمسة الأولى ..

التنهيدة الأولى ..

كم أشتاق إلى لحظة الخجل الأول ..

الشوق الأول ..

الموعد الأول ..

fb/mashro3pdf

حينما كانت قلوبنا بِكر ولم يُفقدها الزمن عُذريتها بَعد

آه يا صديقي من لوعة الحب حين تعجز الكلمات عن التعبير، ويعجز الإحساس عن الشعور، وتُبصر العين وتعمَى البصيرة

في الوقت الذي تحتاج المرأة فيه إلى أن تبحر بوجود الرجل يكون هو أكثر احتياجًا للغوص في تفاصيلها .. كل تفاصيلها

تنشغل هي – بها – عنه، وينشغل هو – به – عنها

تتباعد المسافات وتُقام الحواجز المنيعة .. ويموت الحب بين كل هذا

يموت الحب حين يفقد قدرته على صناعة الأمل

الحب .. شر

نُبكيه .. ويبكينا

المرأة وُلدت كي تُبكي الرجل على الحياة، ولتقتل الحب

فيقول له خالد: المرأة وُلدت كي تبكي على الحياة في حضن الرجل، أو كي تبكي على الرجل في حضن الحياة .. يا صديقي هذا الصدام المتكرر بينكما يظهر ليؤكد حبكما لا ليقتله، فالحب دون ألم، مُوجِع !

فيرد أيمن بأن الحب غالبًا ما يموت شهيدًا على عتبة التناقض، وليس كل تصادم يا صديقي يحفظ الحب بل غالبًا ما يغتاله

fb/mashro3pdf

فيقول له خالد: إذن العِبرة أن تكون الطبيعة التناقضية قابلة للتجاذب وليس للتنافر ليعيش الحب، ليكون التناقض قمة التوحُّد ، ويكون التصادم قمة الاحتواء !

حاول أن تحتويها، لماذا تحمل كل هذا الهمّ بداخلك يا صديقي؟

فيرد أيمن: وأكثر من ذلك، إنني أجنح إلى دخانك الأزرق كي أنسى همّي الأسود

خالد: ولماذا لا تحاول أن تخونها معها بأن تعيش هذه اللحظات الجميلة من الماضي في حاضركما .. لماذا تعايشها وحدك رغم أنها في حاجة إليها أكثر منك ؟!

وطالما ظللت على حالك، لن تستطيع أن تقلل شكها، وتجعلها أكثر ثقة بك، هي تحتاج إلى اليقين منك كي لا يختلط يقينها بالشك .. المرأة بطبعها تميل إلى الشك .. الشك غيرة، والغيرة حب

لست وحدك تعاني من أزمة الثقة تلك مع زوجتك، انظر إلى وجوه رجال البلدة الذين يجلسون جانبنا

ينظر أيمن حوله، فيرى القهوة بأكملها صور متعددة منه، وكأنهم جميعًا قبل أن يدخلوا القهوة يخلعون عنهم فرحهم وينفضون ضحكاتهم ويرتدون الهم والحزن، حتى هذه الضحكات التي تخرج بين الحين والآخر، ضحكات صداها في الخارج فقط !

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

(٢)

يقوم خالد من مكانه ويسحب الكرسي الذي يجلس عليه، ويقترب أكثر من أيمن، ويخبره أن يعود الآن إلى زوجته وإلى بيته، قبل أن تبدأ الزوجة التعمق في فقه الخيانة ويمهد لها الشيطان عتبات الشر، وتمارس هوايتها المعتادة معك ..

حاول أن تصالحها بأن تفعل شيئًا جديدًا .. هل اشتريت لها وردًا من قبل ؟

يرد أيمن بصوت منخفض: ورد ؟! .. لا !!

أتريد أن يتحدث أهل البلدة عني بالسوء، ويسخرون منّي ؟!

خالد: الناس لا يضحكون سوى على عجزهم أن يكونوا كما ينبغي أن يكونوا

اكسب احترام زوجتك، تكسب احترام العالم أجمع

الوردة الواحدة تصنع معجزة في إحساس المرأة، تعادل ألف كلمة حب "صادقة"

فيقول له أيمن: أهل البلدة يموتون فقرًا وأنا أشتري لزوجتي وردًا ؟!

fb/mashro3pdf

يضحك خالد ويقول له.. لم أطلب منك أن تشتري، الجنينة الموجودة في أول طريق البلدة مليئة بالورود الجميلة، ولا أحد يقترب منها

يتفتح الورد ويذبل كل عام دون أن يقترب منه أحد في بلدتنا، شمّ الورد أصبح من الرفاهية التي لا يستطيع أهل بلدتنا عليها، حتى ولو كانت دون مقابل

اذهب إلى هناك، واجمع لها وردة من كل لون، وستكون مفاجأة جميلة لها

يبتسم أيمن، ويبدو عليه الفرحة، ويعد صديقه بأن يأخذ بنصيحته

يقترب خالد أكثر منه، يقترب من أذنيه ويهمس له، بعد أن تلقي بالورد في سلة المهملات – لأنه سيذبل عاجلاً أو آجلاً – لا تنسى أن تكسر روتين حياتكما في السرير بما هو أكثر مفاجأة وأكثر تأثيرًا، شيء يدوم أثره أطول من الورد وآلاف الكلمات الصادقة .. وحاول ألا تجعل أهل البلدة يسخرون منك، هذه المرة قد يسخرون من عجزك أن تكون كما ينبغي أن تكون

يضحك أيمن بصوت عالٍ على نصيحتي خالد، الأولى غير المكلفة، والثانية "الرخيصة" !

يودعه خالد بضحكات أعلى، ويؤذن الشيخ محمد للصلاة، ويذهب أيمن ليفاجئ زوجته، ويذهب خالد في طريقه كي يشغل حيز فراغه الحياتي اللانهائي ...

fb/mashro3pdf

(٧)

آمال

" تموت الرغبة في الحياة حينما تحاصرها الشكوك والظنون والهواجس، وتحيا الرغبة في الموت حينما تتحول كل هذه المشاعر السلبية إلى ثقة ويقين وحقيقة"

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

(١)

يعشق خالد أفراح البلدة والبلاد المجاورة، لأنه كما يقولون عليه "صاحب واجب"، ويعلم خالد جيدًا أن الواجب الحقيقي هو رؤية الغازية الحسناء "آمال"، يشعر أنها ترقص له وحده، ويتراقص معها في داخله، بينما يبدو من الخارج أكثر اتزانًا وحكمة أمام الناس

يلتف أهل البلدة حول الراقصة كما يلتفون حول مائدة الطعام، الكل يلتهم بطريقته ويشبع رغبته حتى الثمالة

تنظر آمال إلى خالد، تعرفه جيدًا، هو صاحب الرقم القياسي في حضور رقصاتها بل في حضور أفراح الناحية بأكملها !

هي الوحيدة في الحاضرين التي تراه من الداخل، وليس كما يحاول أن يبدو هو من الخارج، ترى تمايلاً لا اتزانًا ، وحركة لا سكونًا، واندفاعًا وطيشًا لا حكمة ورجاحة

خالد، كلامه معسول، نظراته حادة زائغة تحمل قدرًا هائلاً من "البجاحة" لم تعهدها في رجل من قبل، ربما تحب صحبته لأنه جريء، قُبلته تمنح ألف حياة، وهو الحضن الوحيد الذي تشعر معه بلذة ودفء وأمان، هو الرجل الوحيد الذي تتمنى أن تكون بجانبه، لكنه لا يليق أن يصبح زوجًا أبدًا ، لأنه يكره الزواج،

fb/mashro3pdf

ودائمًا ما يخبرها بأن الزواج معاناة وقيد والحب حرية موجعة، وجع بطعم الربيع

يخبرها بأنه لا يريد أن يكون مثل ذَكر النحل الذي يموت بمجرد أن يجامع زوجته، لأنها لن تصبح أبدًا اليمامة التي لا ترتبط بأحد غيره بعد مَوته وتنوح عليه إلى أن تموت هي !

دائمًا ما تقول آمال، أن إحساس الأمان هو ما تحتاجه المرأة من الرجل ..

ولكن مَن تأمن خالداً إذا تزوجها ؟!

كلما يشعر خالد النشوة من تمايلها، أو قبلاتها، أو تلك الأحضان التي اختلساها في ظلام البلدة ذات ليلة، كلما عكّر عليه الشيخ محمد صفو سعادته تلك، مازال الحلم الذي يراه كل فترة، والشيخ محمد يضاجع آمال .. يُفقده إحساسه الجميل أنه في أحضانها، ويتخيلها وهي في أحضان شيخ بلدتنا الهُمام وهي مستمتعة معه للغاية وتبتسم !

من اعتاد متعة الحرام، لن يستشعر أبدًا متعة الحلال !

fb/mashro3pdf

(٢)

ينتهي الفرَح، وتنهي آمال عملها، ينتظران أن تنام البلدة كي يتقابلا كما اعتادا

في المكان الذي لا يعرفه من أهل البلدة سواهما وثالثهما الشيطان ..

كلما يحاول لمسها أو تقبيلها يتراجع، تشعر أنه مضطرب، وأنه في غير حالته

تسأله ماذا بك؟

أتخجل أن تقبلني يا خالد؟!

يرد عليها سريعًا بأنه مريض، عندي برد، وأخشى عليكِ منه

تترجاه بحرارة أن يصيبها ببرده، فيرد ببرود غير معهود

تقترب منه .. يبتعد

تحاول أن تلمسه .. ينفرها

كلما يتودد لها كي يصالحها، يقفز الشيخ في رأسه

بدأ يراها في هيئة الشيخ .. آمال في هيئة الشيخ !

fb/mashro3pdf

يرى ذقنها الطويلة البيضاء، والمسبحة الطويلة الخضراء تظهر كعقد في رقبتها، تخبطه بعصا الشيخ على رأسه، تضربه بيديها على قفاه الذي تورم، يد الشيخ أم يد آمال، هما واحد، هما اثنان .. ماذا يحدث ؟!

يحاول خالد أن يقتل الشيخ، ينظر له نظرات شر وحَنق

تخاف آمال من منظر خالد غير المألوف، ويخاف هو من هيئتها الغريبة

إنها ليلة سوداء يا خالد، يحدث نفسه

المرأة عندما ترغب في الرجل ويبعدها، تكره نفسها، والرجل عندما لا يقدر على إشباع رغبات المرأة يكره العالم أجمع

fb/mashro3pdf

(٣)

تقف منفعلة، وتودعه في حزن، وتخبره بأن هذا هو اللقاء الأخير بينهما، ويتوسل هو أن يكون هناك لقاء آخر .. دون جدوى

يسكت خالد .. ويتكلم الشيـخ محمد في خيال خالد الواسع، ما تفعله حرام .. حرام يا خالد !

لماذا لا تصلي معي في المسجد ؟!

هل تعتقد أني لا أعرف عنك الكثير .. أعرف عنك كل الشر؟

هل تعتقد أن أهل القرية سيصدقونك لو أخبرتهم أنك رأيتني في أحضان الغازية ؟

سيكذبونك لمجرد أنهم يرون لحيتي.. لحيتي البيضاء هذه كفيلة بأن تنجيني من اتهاماتك السوداء، وأن تنجيني من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة

أنا الحق .. وأنت الباطل، أنا الخير .. وأنت الشر

لماذا تفعل هذا؟! ..

fb/mashro3pdf

ستدخل النار يا خالد .. ستدخل النار .. ويخرج الشيخ لسانه لخالد .. سأدخل أنا الجنة وأنت لن تدخلها

خالد يخسر معركة رجولته في الدنيا أمام آمال

ويخسر معركة فوزه في الآخرة أمام الشيخ

ينادي خالد على آمال كي تعود لكن دون جدوى ..

ينادي عليها الشيخ أيضًا باستهزاء وسخرية كي تعود لكن دون جدوى

يضحك الشيخ ويخرج لسانه إلى خالد مرات أخريات

يموت خالد من الغَيظ والشعور بالمهانة ..

يُحدِّث خالد نفسه في الطريق وهو يمشي وحيدًا، الشيخ في خيالك فقط يا خالد

الشيطان يُبدع في الخيال وأنت تُبدع في التصديق، الإبداع واحد

كلاهما شر .. بل كلاكما شر، أنت والشيطان، وجهان لعملة واحدة

أنت تحاصر الناس بالحقيقة وتحاصر نفسك بالوهم دومًا

الحقيقة وهم تصدقه، والوهم حقيقة تكذبها

fb/mashro3pdf

(٤)

يعود خالد إلى البيت وهو حزين على الليلة التي لن تعوض، فهو لا يرى آمال إلا كل شهر مرة

" منك لله يا شيخ محمد"، هكذا يقول خالد !

في طريق عودته، يقابل خالد صديقه أيمن الذي يبدو سعيدًا بينما خالد يبدو عليه الضيق الشديد

ماذا بك يا خالد؟

لا شيء يا صديقي .. أخبرني أنت هل نفذت نصيحتي لك أم لا ؟

يخبره بأنها أتت ثمارها، لقد صالحتها في السرير كما لم أصالحها من قَبل، لقد شعرت معها بعبق البدايات يا خالد

النظرة الأولى ..

الضحكة الأولى ..

اللمسة الأولى ..

التنهيدة الأولى ..

الخجل الأول ..

fb/mashro3pdf

الشوق الأول ..

الموعد الأول ..

لقد وجدتها كما عهدتها في البدايات، فقط عندما حاولت أن أشاركها لحظات خياناتي لها معها كما نصحتني، ورأيتها وردة تفتّحت حتى ذبلت كل الورود التي كنت أحملها معي لها

وشعرت أنني الرجل الوحيد في هذه البلدة من فرط سعادة زوجتي

يقول خالد في سره: الرجل الوحيد في العالم – وليس في البلدة فقط – هو الشيخ محمد، رجل بمعنى الكلمة .. أصابني بالجنون من فرط سعادة آمال في أحضانه !

fb/mashro3pdf

(٨)

حمزة

"أجمل ما في كذب الطغاة هو صدقهم الشديد
مع أنفسهم، واتساقهم مع مبادئهم المعوّجة"

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

(١)

أبريل/ نيسان ١٩٧٨

يتجمع عدد من أهل البلدة تحت الراديو الوحيد الموجود بها، في القهوة، صوت الرئيس السادات بإعلانه رفض مصر القاطع لمشروع بيجين الذي يستهدف إبقاء السيطرة الإسرائيلية على الضفة الغربية وغزة يجذب الجميع، البعض ينصت، القليل يهتم

يقول أحد الفلاحين أعتقد أن السادات يتكلم أكثر مما يفعل "الله يرحمك يا عبد الناصر"، كان عبد الناصر أقرب إلينا من نفسنا، رغم النكسة إلا أننا كنا لا نشعر في حضرته إلا بالسكينة، أما السادات فبرغم الانتصار إلا أننا نشعر بالقلق

صوت تصفيق متواصل استمر لفترات طويلة، تصفيق يطغى على صوت الشيخ محمد وهو يؤذن

الشيخ محمد يؤذن قبل موعد الصلاة مرة، وبعد موعد الصلاة مرة، وبينهما أذان الفرض

لا أحد يصلي في هذه البلدة سوى الشيخ محمد تقريبًا

الجميع في هذه البلدة يتحدث في السياسة ماعدا الشيخ محمد تقريبًا

يشارك أحد الجالسين على القهوة في التصفيق أيضًا، عاش رب العائلة المصرية، عاش بطل الحرب والسلام ..عاش السادات

fb/mashro3pdf

يرد خالد على هذا الذي يصفق وحيدًا، ويهتف وحيدًا، بماذا تفيدنا هذه الكلمات ونحن نسعى لسلام مع مَن اغتصب أرضنا؟!، مادمنا حتى الآن لا نشعر بقيمة الحياة نفسها في هذه البلدة الميتة

وماذا استفدنا من حصول الرئيس منذ عام على نسبة ٩٩.٩٣٪ وأُعيد انتخابه رئيسًا للجمهورية ؟! وماذا استفدنا من قراره بعودة الحياة الحزبية ؟!

مَن منكم يعرف حتى عن الأحزاب تلك ؟!

مَن منكم رأى ممثلنا في مجلس الشعب آخر مرة ؟!

ممثلنا الذي ولا شك يواصل في وصلة التصفيق تلك نيابة عنّا جميعًا

نحن لا صوت لنا

ولا قيمة ..

نحن لا شيء، هم يلعبون السياسة ونحن نكتفي بالمشاهدة من بعيد

أيمن يؤيد رأي خالد، ويُثني عليه

خالد يتكلم عن السياسة بحب، وأيمن يتكلم عن الحب بسياسة.. كلاهما شر !

fb/mashro3pdf

(٢)

يأتي حمزة من بعيد، يسمع صوت عال في قهوته، هناك مشاحنات ومشادات كلامية بين مؤيد ومعارض لخطاب الرئيس في مجلس الشعب، يطلب من صبي القهوة إغلاق الراديو، ويطلب من الجميع الهدوء أو سيطردهم من القهوة

صوت حمزة الجهوري يفزع الأطفال الملتفين حول القهوة

يقول حمزة: الحزب الوحيد الذي أعرفه، هو المال، السلطة، النفوذ، تخلصوا من فقركم قبل أن تفكروا في السياسة وعفنها

يسكتون بعد حين، الخوف يسكتهم ..

حمزة يستطيع أن يطردهم مما هو أهم من القهوة، قد يطردهم من رحمته، وهم جميعًا مدينون له .. والخوف تملك منهم أكثر بعد أن أصبح عمدة البلدة، وهو الآمر الناهي

يحكم بينهم فيما هو حَكَم، ويفصل - هو - بينه وبينهم فيما هو خصم وحَكَم، هو الغني الذي يزداد غنى والناس فقراء يزدادون فقرًا

كلما ظهر عليهم حمزة، ساورهم القلق والخوف، هو دائمًا متجهم، عابس، لا يضحك إلا نادرًا كلما كان هو وخالد وحدهما، لا ثالث لهما

fb/mashro3pdf

خالد هو الشخص الوحيد الذي يحبه حمزة من أهل البلدة

لا يحبه، بل يشعر ناحيته بمشاعر طيبة، حمزة لا يعرف الحب، كره الحب يوم أن ماتت زوجته وهي تلد ابنهما، ومات ابنه معها، وولدت الوحدة التي كانت أم خالد تخففها عنه بين الحين والآخر، حتى رحلت هي الأخرى، وبقى خالد ورضوان، حتى سافر الأخير، وبقى خالد، فخالد هو آخر من تبقى له من رائحة الأحباب

الكل في رحيل واجب !

fb/mashro3pdf

(٣)

أصعب الأوقات على حمزة، هي تلك التي يكون فيها وحيدًا بين جدران بيته، وأمواله الكثيرة، لا يشعر بقيمة السعادة، ويستشعر دائمًا غربة تفتك به من الداخل، وغربة تفتك به حتى من الخارج، في تجاعيد وجهه التي ظهرت مع تقدم الزمن، حتى بدا يرى وجهًا غير مألوف

ومادمت وحيدًا فلماذا أهتم حتى أن أنظر إلى المرآة ؟ .. هكذا يقول حمزة لنفسه كل صباح عندما يستيقظ

لا أحد يعنيني على الإطلاق

الوحدة شر !

كثيرًا ما طلب من خالد أن يعيش معه، كي يُسلّي كلا منهما وحدة الآخر، لكن دون جدوى

يعشق خالد حياة الوحدة بزخم، ويرد على خاله دائمًا بأن الوحدة رحمة لا يشعر بها إلا من يعرف قيمتها

الوحدة سفر لا نهائي إلى ذاتك، إليك وحدك

ويبرر خالد لنفسه ذلك بأنه طالما أنت وحدك لن يعرف الناس عنك الشر، تمارسه عليك لا عليهم، تمارسه معك لا معهم ..

fb/mashro3pdf

سيكون الشر منك ولك،تتوحد معه في وحدتك، ويسامرك، ولا يقلق نومك بصوت جهوري، ولا يطلب منك النوم مبكرًا، ولا ينهاك عن حرام

رغم أن الوحدة غربة واغتراب، ولكن مَن منّا لا يشعر بالغربة عن بلدتنا هذه، أعلن رئيسنا انفتاح واستقرار، وها هو انفتاح أهوج، واستقرار أعوج، ونحن زدنا انغلاقًا وتدهورًا، ومللنا الخطب الرنانة

الخطب الرنانة لا تصنع وحدها التقدم

خالي حمزة أجمل ما في طغيانه، أنه يعترف به ويعرفه، لا يتوارى خلف تدينه الفارغ

لا يصلي.. ويعرف الناس أنه لا يصلي

يصوم أيام معدودات في رمضان، ويعرف الناس عنه ذلك

هو لا يخجل مما يعرفه الناس عنه، وحتى لا يخجل لو عرفوا ما لا يعرفونه

هو لا يهتم بما يقولون، وما يشغله فقط ما يفعل، إيمانه بما يفعل ولو كان خطأ

أجمل ما في خالي حمزة أن الشر جزء من تكوينه دون حَرج، شره الواضح خير، كي يتقيه أهل البلدة المغلوبين على أمرهم

الكل في البلدة ضحايا خالي حمزة، وهو أكبر ضحاياه !

fb/mashro3pdf

(٩)

موت آخر

"تحمل الحياة الواحدة برزخًا بين أكثر من موت، فبعد كل موت آخر، لابد من موت أخير، وحتى بعد كل حياة أخرى، حياة أخيرة"

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

(١)

سبتمبر/ أيلول ١٩٧٨

في كل مرة يحاول أن يقتلني اليأس بكلكله كنت أجنح إلى خطاب أخي رضوان كي أطمئن، أتنسم كلماته وكأنما في كل كلمة منه حياة، حياة فيها عَبق أيام الصبا وسحر ضحكات الأطفال

حينما كان الكون في حجم أجسادنا الهزيلة، وفي طول أسوار بيتنا الخفيضة، وكان آخر الكون هو آخر حدود بلدتنا مع الصحاري الواسعة، لم نكن نحمل أي همّ، كنّا نجري في شوارع البلدة نتغنى بحريتنا، دون أن نشعر وقتها، دون أن نسمع حتى صدى الغناء

كنت أنام أنا وأخي رضوان في حضن أمنا، ونتغطى بدفئها، ونتنفس منها حياتنا الأولى، ونضحك بها، وتبكينا حين تدمع خوفًا علينا من قادم الأيام، لم نشعر أبدًا في حضرتها أننا يتامى الأب، كانت أمًا وأبًا، وعائلة بكاملها

علّمتنا أن نحب الخير، وأن تكون قلوبنا لون شَعرها الأبيض الذي كان يشع من تحت طرحتها السوداء الكاحلة،شَعرها الذي تغير لونه في غير الأوان بما حملته من مسئوليات جسام، الزمن

fb/mashro3pdf

الذي حوّل أمي من ربيع قائم إلى خريف قاتم، خريف نحيا أنا وأخي فيه وكأنه الربيع الذي لا يرحل

وفي تلك الأيام، كانت بوادر التمرد تظهر على أخي رضوان منذ زمن بعيد، كان كثيرًا ما يحدثنا في طفولتنا عن أن الكون أرحب من هذه المسافات التي تحملنا، وأكبر من مخيلاتنا، لكن كنت وأطفال البلدة نضحك على كلامه بسخرية بريئة، وننهره بحب، فيهرب من سخريتنا بسخط طاهر، وضجر طيب

كان يحلم بالسفر دومًا في هذا العالم البعيد، كي يثبت لنا أننا لا نحيا في كوكب بلدتنا وحدنا، وأن ثمة أناس آخرون يعيشون بعيدًا عن هنا

وكنت أحلم أنا بالسفر في عالم وحدتي، ويا لها من متعة، تلك المتعة في أن تختصر كل مسافات الوجود فيك، ثم تحتويك، ثم تنأى بنفسك عنك، فتسافر إلى عوالم لا يصلها جسدك الهزيل، ولا أفكارك الجامحة

كنت أسافر بخيالي لحظة وحدتي، وكان أخي رضوان يقف على حدودي تلك يقنعني بأن سفر الجسد تكمن فيه المتعة الجامعة والرغبة الجامحة

كان السفر يجمعنا حلمًا. هو يحلم بأن يسافر بجسده وأنا أحلم أن أسافر بروحي، هو ما لبث أن هجر البلدة في أول فرصة

fb/mashro3pdf

هيئتها له دراسة الطب، وأنا لا أنفك أسافر بروحي في حَواري الواقع الضيق، وشوارع الإحباطات الخلفية، هروبًا من كليهما وهروبًا مني

ها هو أخي رضوان يعدني بأن يعود وأنا أعده بالانتظار، ولكن لا أعد نفسي أبدًا بموعد أعود فيه من سفري هذا. سفري عني، فقد عوّدتني أمّي بأن أعد بما أستطع وبما أملك، وأنا لا أستطع أن أعرف موعد قدومي ولا أملكني حتى .. وغالبًا لا أفي بوعودي

السفر شر !

fb/mashro3pdf

(٢)

كان أول فراق بيني وبين أخي رضوان، يوم أن جمع متاعه كي يذهب إلى القاهرة، كي يبدأ حياته الجامعية في القصر العيني، كانت فرحتي بأن أخي دكتور تقلل من حُزني لغيابه عني كل أسبوع أو أسبوعين أو ربما أكثر، ومبرر أن أتحمل أن أراه في الشهر بضعة أيام فقط

كان يحكي لنا عن جمال القاهرة، وطيبة أهلها، رغم ضعف الحال والحيلة، ويحكي لنا عن جمال النيل الذي قرأنا عنه في الكتب، وليل القاهرة الساحر الخلاب، كان في كل زيارة يحمل لنا حكايات تجعلني أنا وصديقنا أيمن نتكلم في تفاصيلها حتى نراه مجددًا

كان يحمل لي في كل زيارة من القاهرة، كل الكتب التي أطلبها منه وأكثر، كانت فرحتي بما يحمله لي من كتب، ألمحها في عينيه وفي ابتسامته الحنون، وبمجرد أن أنتهي من سلامي له، أغوص في تلك الكتب وأنهل منها حتى الثمالة، حتى يعود مرة أخرى حاملاً لي عوالم جديدة من الفكر والإبداع

يُذكّرنا في كل مرة بأيام الطفولة حين أخبرنا بأن الكون أكبر من بلدتنا البائسة تلك، وكنا هذه المرة نسخر من أنفسنا حين كنّا صغارًا، حينما كنّا نتمنى أن نكبر فجأة

fb/mashro3pdf

دائمًا ما نحلم في الطفولة بأن نسابق الأيام كي نكبر .. ونندم بعد حين

كنا نعتقد أننا عندما نكبر سنكون أكثر سعادة وفرحًا، لم نكن نعلم أننا نعيش أجمل أيامنا وقت تمنياتنا تلك، لم نكن نعلم أننا سنفتقد الدفء بعد حين

تحول هذا إلى يقين، عندما فقدت وأخي رضوان نصف أسباب حياتنا، لّما ماتت أمنا، وتجرعنا اليتم كاملاً، وقت النكسة

هكذا نحن لا نندم على أجمل الأشياء إلا بعد أن نفقدها، ولو أننا نتعلم، لتشبثنا بهذه الدقائق التي نقتلها تفكيرًا فيما مضى أو قلقًا مما هو قادم

fb/mashro3pdf

(٣)

يوم وداع أخي رضوان، وهو ذاهب كي يكمل دراسة الطب في لندن، كان سفره سفرين، سفر بجسده عني، وسفر بروحه، روحه التي تشبهني، وتملك زمام تفاصيل الذكرى والذاكرة

كنت أتشبث بقميصه الأبيض الذي بللته دموعي ودموعه، وأقبله من خده ومن رأسه، وتلتف كلتا يديّ حول وسطه كما تلتف فروع الأشجار حول جذع شجرة وحيدة في صحراء قاحلة، صحراء وحدتي في بُعده عنّي

تلك الوحدة التي كانت مُتعتي في حضرته، وأصبحت متعة موجعة دونه، لأنني حين كنت أسافر بروحي عني كنت أطمئن لوجوده، كان يُعوض غيابي بحضوره

كنت أتمنى أن أصبح جزءًا من متاعه كي أسافر معه، وقت أن يتمنى الإنسان أن يصبح جمادًا، وأن يتحول من جماد ناطق إلى جماد أصم

كم أحسد تلك الحقيبة التي تحملها يا أخي، أنا أفارقك وهي تبقى معك، وكم أحسد حتى هذا الحذاء الذي يحملك وتدوس به غياهب الغربة، كم تمنيت أن أكون مكانه، أحملك وأحمل عنك

fb/mashro3pdf

كانت هذه من المرات القليلة التي أرى فيها دموع خالي حمزة، حينما كان يحاول فك تلك العُقدة التي صَنعتها كلتا يديّ حول وسط أخي، دون جدوى، كان عناقي له أكبر من مجرد فض اشتباك

ظللت واقفًا أراه يبتعد عني ويغيب في أفق الطريق الطويل، يبتعد أكثر وأكثر، ويلتفت بعد كل خطوة كي يراني، وأشعر أنا بسكرات مؤلمة، وأنطق النصف الآخر من الشهادة "محمد رسول الله"، بعد أن ودّعني هو في آخر كلامه لي بنصف الشهادة الأول، حينما لّوح بيده اليمنى السلام الأخير، فكدت أقبلها وهي ترتفع في الهواء

fb/mashro3pdf

(٤)

في صباح اليوم الأسود، اليوم الذي بُلغت فيه بخبر وفاتي، عندما تسلمت خطابًا يخبرني بأن أتسلم جثة أخي رضوان، بعد أن أصيب بمرض نادر في لندن ومات على إثره، لم أحتمل الصدمة، كانت الكلمات تطعنني وتقتلني آلاف المرات وأنا لا أحرك ساكنًا

خبر وفاة الأمل ...

كنت أمشي في جنازة أخي، وأشعر أنني المرفوع على الأيادي كي أصل إلى قبري، كنت أمشي في جنازتي، وأحملني، وأبكيني، وأسمع صراخ وعويل أهل القرية، كان الميت أنا، كان أهل القرية بمثابة برزخ بين الحياة والموت

كل أهل البلدة تمسك بي وأنا أحاول أن أرقد بجوار أخي في قبره، وأراهم يغلقون عليه باب القبر، وأراه الرؤية الأخيرة وأنا ثابت لا أتحرك، أملي الوحيد الباقي هو أنني سأكون معه في القريب، فلا حياة لي دونه

يصبرونني بكلمات لا تشفي وجعي، ولا تفيد دمعاتي التي كادت تنضب من فرطها، في تلك اللحظة التي سقطت فيها كل حسابات الكلم والألم، وتوقفت كل حدود الزمان والمكان

fb/mashro3pdf

وبعد عدة محاولات بائسة انتزعوني منه، وانتزعوا روحي، وتركوني جسدًا بلا روح، تركوني عاريًا من روحي، وانكشفت جوارحي وعوراتيَ للملأ من أهل البلدة

كنت أستند على صديقي أيمن في طريق عودتيَ إلى البيت، بعد وداع أخير، وهو يحاول أن يصبرني بصمته المخيف ونظراته الشاردة، كنت أشعر أنني أراني في هيئته بصمتي ونظراتيَ، انتحرت كلمات أيمن من هَول الموقف، حتى خالي حمزة هو الأخر يحاول أن يصَبرني بدموعه النادرة التي يمسحها على استحياء

أمشي بين أهل البلدة في طريق عودتيَ إلى البيت، وكل أهل البلدة يقفون على جانبي الطريق، يلملمون بعض الدمع، الرجال والنساء والأطفال، في حِداد، أرى في عيونهم هول الفقد ونظرات العطف

حتى بيتي، بيتنا، هذا البيت الذي حَفرت جدرانه رصيد حب لا ينتهي، ولن ينتهي، الآن كدت لا أعرف تلك الجدران، أتحسس الخطوط التي رسمناها أنا وهو ونحن صغار، وصورته التي تضيء قلبي المظلم، وأسمع سمرنا سويًا في كل ركن بائس

هنا كان يضحك ويسامرني ..

وهنا .. كان يقتسم معي هذا السرير الذي أتعبه ثقلنا يومًا ، فتكسّر، وطردنا من رحمته إلى الأرض كي تقتل ضحكاتنا صمت البلدة المخيف ..

fb/mashro3pdf

وهنا .. كنّا نأكل سويًّا ، ونتقاسم اللقيمات ونتخاطفها ..

كدت أقول لصديقي أيمن، هذا ليس بيتي، والغربة تتوحش في كل تفاصيلي، في الداخل والخارج

أرى أطياف الراحلين على الجدران تؤنسني بوجع، وأستشعر أنفاسهم التي تدفئني، وأسترق السمع إلى أصواهم جميعًا

أرفض أن يبيت معي أيمن، فلا أحد يملأ فراغًا بحجم الكون، وأقتل توسلاته بإصرار حازم، وأطلب منه أن يغلق الباب بعد أن سقطت على السرير، ويترجاني أن يبقى، وأترجاه أن يرحل، وأن يتركني وحيدًا ، الوحدة هذه المرة لم أقررها أنا، ومتعتها تحولت إلى ألم

كما رفضت بعدها أن أعيش في سراية خالي حمزة، الذي ترجاني أن أؤنسه ويؤنسني، كي لا يقتلني توجع الجدران التي تحمل ذكرى، وأنفاس الراحلين، وأصواهم التي بالكاد ستؤنس وحدتي القاتلة، وتلك اللحظات التي هي مساحات شاسعة من الذكريات الجميلة

تلك المساحات التي تأبى الاختباء والتخفّي وتعارض النسيان، هي المساحات التي نصّر نحن على رؤيتها وتذكّرها، ونتوهم بتناسيها، وفي محاولتنا لنسيانها درب من التذكّر والتفكّر والتدبُّر، والطلاء على جدرانها لايَمحي سوى ما سوف يُمحى مع الأيام

fb/mashro3pdf

ولو بدون طلاء، فالطلاء لاتستوعبه الجدران التي حُفرت بذكريات لا تعرف معنى النسيان

وهكذا أصبحت واحدًا ووحيدًا أنا في غُربتي واغترابي قــانعًا، قــابعًا بين السكوت والسكونْ، أهوَى وأهوِي !

fb/mashro3pdf

(٥)

أجلس في السرير وأنا ممسك بالخطاب الذي يحمل صك الأمل الذي مات، تبلله دموعي، أتذكر يد "البوسطجي" التي كانت تحمل الخطاب وتدق على الباب وكانت هي دقات قلبي التي لم تهدأ منذ الوداع، وكأنه أتاني في اليوم التالي على رحيل أخي، كأن "البوسطجي" أتاني بعد أن تركني أيمن مغشيًا عليّ في السرير

وأتذكر نفس اليد التي جاءت لي بخبر وفاتي، وكانت تدق على رأسي بفأس غليظ تفتتني وتقطع شراييني، مازلت منذ رحيل أخي، في سفر لا نهائي، كلما تخطفني النوم، كلما استيقظت أتمنى أن يكون رحيله مجرد كابوس ما لبثت أن انتهيت منه، ولكن أرى توحش الجدران، والصمت المريب حولي، والخطاب الذي أحضنه وهو يكاد يتقطع من إمساكي به

أمسكه وأتمنى أن تعود لحظة واحدة من تلك اللحظات التي كانت تجمعني به، أسمع صوته وألتفت إليه ولا أجده، أرى صورته وأجري عليها ولا أجد غير السراب، لا أجد غيري، بل أنني حتى لا أجدني، أسير الفقد والافتقاد

لا قيمة لهذه الحياة بعد أن فارقها هو وتركني وحيدًا، غارقًا في وحدتي الإجبارية تلك، لا أريد أن أرى أي وجه آخر ، كل

fb/mashro3pdf

الوجوه تؤلمني لأنها تحمل جزءًا من ذكرى لي معه، حتى صديقي أيمن، لا أريد رؤيته لأنه يحمل الجزء الأكبر من ذكرياتِي مع أخي رضوان

كانت هذه المرة، هي المرة الثالثة التي أموت فيها وأفقدني، وأفتقد غيابي، حيث كان الموت الأول يوم أن ماتت أمي، والموت الثاني في نفس الليلة يوم أن ماتت مصر، والموت الثالث كان في وداعك يا أخي رضوان، الوداع الأخير

كان وجع موت أمي واقعًا صنعه الحق، وكان وجع موت مصر واقعًا صنعه الحمق، وإن وجع موت أخي واقع صنعه الحب!

موت آخر .. وليس موتًا أخيرًا .. وجعًا لا نهائي

الموت شر !

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

(١٠)

نهاية ليس لها أول

" التناقض في أن هذه النهاية ليس لها أول، هو أن كل النهايات لابد لها من بدايات"

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

(١)

سبتمبر/ أيلول ١٩٨١

يقف خالد على يمين الشيخ محمد في صلاة الظهر بالمسجد، بعد أن أطلق لحيته، وأسلف ملابسه، وأحرق كل الكتب التي كانت بحوزته رغم أن ذكرى من أحضرها مازالت حاضرة، خاصة الكتب التي كان يعشقها، والتي تتحدث عن الشيوعية والماركسية. استبدل خالد مكتبته القديمة بمكتبة أخرى إسلامية، وشرائط لدعاة تهز أصواتهم أرجاء بيته ليل نهار

خالد الذي كان بشوشًا رغم الهمّ الذي يحمله، أصبح متجهمًا، لا يبتسم إلا نادرًا، هكذا حاله منذ عامين، منذ رحيل أخيه رضوان

مازال خالد يعشق الوحدة كما كان، ولكنها أصبحت سفرًا لا نهائي في ذاته بعمق إلهي، سفر من الأرض إلى السماء في رحاب الخالق، حيث لا تشعر بوحدتك عن البشر رغم أنك وحيد، بل تشعر وكأنك العالم بأكمله، وكأنك أناس الأرض مشرقها ومغربها.. رغم أنك واحد ووحيد

اغتال خالد كل لحظات الشر، تلك اللحظات التي انفرد فيها بآمال مرة، وكان مدفوعًا إليها من أجل حالة النشوة، وتلك

fb/mashro3pdf

اللحظات التي انفرد فيها بدخانه الأزرق مرة، وكان مدفوعًا إليها من أجل حالة التناسي، وأصبحت النشوة هي حالة من اليقين بالله، وأصبح التناسي جزءًا من إحياء الذاكرة والذكرى بالراحلين، واستعادة اللحظات التي كانت تجمعهم به، وتذكرهم بالدعاء رحمة ومغفرة كلما تيقن أنه أصبح وحيدًا في زحمة انشغاله بعالمه الأكثر انسجامًا مع جانبه الروحاني

يستشعر الرضا والسعادة كنزًا يملك به أغلى ما يمكن أن يملكه بشر، وينظر إلى افتقار الآخرين إلى ذلك الإحساس رغم أموالهم بأنه غضب من الله يحتاج زهدًا وقناعة، وعودة أمينة يقف بها على رماد كل لحظات الشر التي ولّدها الضعف ذات يوم، من أجل الشعور بلذة مخاض الخير

كما أصبحت تبسمات خالد نادرة، أصبح حال خروجه من البيت، لم يَعد يخرج سوى خمس مرات في اليوم، من أجل الصلاة، ويقضي باقي يومه في البيت يتنقل بين كتبه وشرائطه الدينية، يقرأ ويسمع، يُعيد ويبيع، ولا ينسى وِرده اليومي بقراءة خطاب أخيه رضوان، يشمّ رائحة الأحرفِ ونسيم المعاني، ويسترجع ضحكات أول قراءة للخطاب، ويدمع ويتمالك نفسه ويصبر ويحتسب

لم يَعُد خالد يرتاح سوى في صحبة الشيخ محمد، الذي أفطر من صومه عن الكلام، وأصبح خالد يعوضه عن جورج الذي أخذته الحرب كما أخذت من صالح الرجال

fb/mashro3pdf

وأصبحت علاقة خالد بخاله حمزة أكثر فتورًا، خاصة بعد أن ترك العمل معه، وملّ من نصح حمزة بأن يكّف عن ظلم الناس، ويصبح أكثر عدلاً وقربًا من الله، لكن دون جدوى، وأصبحت علاقته بصديقه وخليله أيمن فاترة أيضًا

مازال حمزة كما هو، ومازالت البلدة كما هي ..

fb/mashro3pdf

(٢)

يُسلّم خالد من صلاته ويجلس في حضرة الشيخ محمد، يتحدثان عن سيرة الرسول العطرة، ويأخذهما الحديث إلى حال البلدة البائسة

فيقول خالد: نحن يا شيخ محمد مسئولون ومساءلون عن هداية أهل البلدة بأكملها كي يعودوا إلى دينهم وإلى رشدهم

أهل هذه البلدة من الكفار يا شيخ محمد رغم أنهم مسلمون، لأنهم لا يعرفون شيئًا عن الإسلام فأحلا تكفيرهم بل والبطش ضدهم من أجل العودة إلى طريق الله، وليكونوا من الفرقة الناجية التي ستفوز في الآخرة، إنهم في حالة شر تحتاج إلى من يدفعهم للتخلص منها

يقول له الشيخ محمد: وهذا البطش المحمود هم يشتمل على خالك حمزة أم لا يا خالد ؟

فيخبره خالد بأن خاله حمزة هو الأولى ببطش ينتزعه إلى طريق الحق، وكي يتوقف عن ظلمه لأهل البلدة وسرقتهم وقتلهم أحياء، فخالي حمزة هو سيف سُلّط على رقاب أهل البلدة بغضب من الله عليه وعليهم

يقول الشيخ محمد: يا خالد، الدين يسر وليس بعسر، ورغم أن الإسلام انتشر بقوة الفكرة وليس بفكرة القوة .

fb/mashro3pdf

يخبره خالد: لا بد من أن نعصم أهل القرية من الشر ونحصنهم لأننا أدرى منهم بشئون ديننا، وهم يشبهون حالة الجاهلية الأولى، ولذلك لا بد أن نبدأ معهم بقوة السيف لا بقوة الحرف، لأنهم مازال أمامهم الكثير كي يستوعبوا ذلك، والإسلام الآن في حالة الضعف الأول ويحتاج إلى القوة

إنه فرض عين وليس فرض كفاية يا شيخ محمد، وأنت لا بد أن تكون معي في ذلك

يخبره الشيخ محمد بأن البطش أولى بأن نستخدمه كي نقتلع به جذر الشر المتعمق في أرض بلدتنا، ربما هو شخص واحد فقط!

شخص واحد فقط يا خالد يكمن فيه الشر كله ..

fb/mashro3pdf

(٣)

يخرجان من المسجد، ويمران على حمزة جالسًا كعادته أمام المحل، يستأذن خالد الشيخ محمد أن يمر على خاله، على أن يراه في صلاة العصر إن شاء الله

يلقى خالد السلام على خاله حمزة وعلى صديقه أيمن الذي عمل مع خاله منذ أن ترك خالد المحل، فردّ كلاهما السلام

حمزة يطلب من خالد أن يعود مرة أخرى للعمل معه في المحل، فيخبره خالد بأن العمل معك حرام يا خال، وأنت تعلم أن اللبن الذي تبيعه مغشوش، والله لا يرضى الغش أبدًا

يقول له خاله ومن أين ستأكل يا ابن أختى ؟! .. من القروش القليلة التي تبيع بها كتب وشرائط لأهل البلدة أم من بضعة الجنيهات القليلة التي تأخذها من الجيش ؟!

أهل البلدة يا ابن أختي لم يصلوا إلى رفاهية أن يشتروا ما قد يمنحهم فكرة أو معرفة أكثر بدينهم، لأن بطونهم خاوية

يجيبه خالد بأن أهل البلدة عندما يعجزون عن الشراء، أُعيرهم ما يريدون دون أي مقابل مادي دنيوي، فالله عنده الخير كله

fb/mashro3pdf

لابد أن يملأ أهل القرية عقولهم بكلام الله والله خير، كي يدفعوا عنهم كل شر، عندئذٍ تصبح كل أموالك لا قيمة لها يا خال، فالكتر الحقيقي هو الرضا والسعادة

ويكمل خالد حديثه بابتسامة رقيقة: الله يبارك في الرزق القليل يا خال، والحمد لله على نعمة الرضا والسعادة ..هل أنت يا خالي بكل ما تملكه من أموال تشعر بالرضا ؟! .. هل تشعر بالسعادة ؟!

وأنت يا أيمن .. هل يبارك الله لك فيما تكسبه من عملك مع خالي حمزة ؟!

هل تشعر بالرضا ؟! .. هل تشعر بالسعادة ؟!

سكت حمزة وأكمل شرب "الشيشة"، ودخل أيمن المحل كي يكمل عمله

نظر إليهما خالد ودعا لهما الله أن يهديهما، وتركهما عائدًا إلى البيت

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

(١١)

الدموع والدماء واللبن !

الدموع بلون الحزن الأسود، والدماء بلون الجُرح الأحمر، واللبن بلون الحلم الأبيض، ثلاثة ألوان أفقية ترفرف على قطعة قماش بالأعلى، والنسر ينام في المنتصف"

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

(١)

أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٨١

تبدو البلدة في غير حالتها، رغم أن البلد في ذكرى انتصار، البلدة كأنها تستعد لشيء جديد يكسر روتين حياتها البائسة، أو ربما تنتظر يأسًا جديدًا يولد، لا أحد يعلم

يجلس حمزة متباهيًا متكبرًا في مكانه المعهود في الجزء الواصل بين محله وقهوته، والفاصل بينه وبين كل أهل البلدة، هو الحاجز المعهود بينه وبين بلدة في أسر رجل جشع

يلتف عدد كبير من أهل البلدة حول التلفزيون الوحيد في البلدة الذي اشتراه حمزة، فرحين بأنهم يرون صورة الرئيس فيه، وصور الطائرات والدبابات والجنود، ويجلس حمزة متباهيًا متكبرًا كعادته

يأتي من بعيد الشيخ محمد، بعد أن انتهى من الصلاة وهذه المرة يخرج من المسجد وحده، حيث أن خالدًا غلبه النوم ولم يصل معه كالعادة، ويبدو الشيخ في غير حالته

يدخل الشيخ على حمزة في جلسته المعتادة دخولاً نادرًا غير معتاد، ويلقي عليه سلامًا مبتورًا، نصف سلام، ويبدو على

fb/mashro3pdf

الشيخ علامات الشر وهو ينظر إلى الشر المتجسد في شخص حمزة

يقول له حمزة، ماذا بك يا محمد ؟! .. ألم تتعلم بَعد أن قُربك مني هلاك لك ؟! .. ويضحك ضحكات ساخرة يملأ صداها فراغ صمت الشيخ المطبق

في هذه اللحظة يضرب الشيخ رأس حمزة بعصاه الغليظة، ثم ما يلبث أن يُخرج سكينًا حادة يمسكها بيده اليمنى، وينهال على حمزة بالطعنات، وأهل البلدة يتفرجون، لا أحد يتدخل ..

التلفزيون يعلن عن تعرض الرئيس السادات إلى محاولة اغتيال أثناء العرض العسكري في ذكرى نصر أكتوبر، ونقله للمستشفى في حالة خطيرة، الجميع رأى وسمع صوت الرصاص

المال يتلون بالأحمر، بلون الدماء، ويكمل الشيخ طعناته، ولا تشفي توجعات حمزة غَليل الشيخ بَعد !

حمزة يحاول الهرب دون جدوى، مسّه التخبط إثر الطعنات، يقع على حاويات الألبان في محله، يختلط اللبن بالدم بالدموع !

fb/mashro3pdf

(٢)

يستمر الشيخ في الطعنات، يطعن الشيخ الطعنة الأولى ويقول هذه للفقر الذي جعلك ترفض أن تمنحني بعض المال يومًا كي أشترى علاج زوجتي المريضة، وكان ردك يومها، وما يعنيني أن تموت زوجتك، فقد ماتت زوجتي أيضًا، ولا أحد يهتم ولن يهتم أحد .. زوجتك يا شيخ محمد ستموت عاجلاً أو آجلاً، فهي إن لم تمت اليوم بالمرض، ستموت غدًا بالفقر

يوجّه له الطعنة الثانية، ويقول له هذه لابني الذي كان في أحشائها ومات معها ابن خمسة شهور، وكان ردك يومها، وما يعنيني أن تكون زوجتك حاملاً ؟! .. فليمت أهل البلدة جميعهم، هذا أيضًا لا يعنيني، سأعيش وحيدًا في بلدتنا وسط أموالي وأملاكي، موتوا جميعًا، موتوا بغبائكم !

ويكمل طعناته، الطعنات الأخريات لأحزان البلدة، ووجوه رجالها العابسة، لأحلام الشباب التي قُتلت من فرط استغلالك، لدموع الأمهات يا حمزة

لخير أهل القرية الذي كنزته أموالاً وحرمت أهل القرية منه

وطعنات أخريات لتسلطك وتربصك وبخلك، وأخريات لجبروتك وطغيانك

fb/mashro3pdf

كم سيتحمل جسدك من طعنات كي أخلّص منك ثأر الشر كاملاً ؟.. ثأر بلدة كاملة يقتلها رجل واحد كل يوم

لماذا لا ترد عليّ الآن يا حمزة ؟!

هل أنت متفاجئ من كونك في موضع الضحية ولست الجاني؟!

هل تتعجب من عدم دفاع أهل البلدة عنك ؟! ..

أنت عوّدهم الدفع لك، ولم تعودهم الدفع عنك

حاصرهم بالخوف والذل، وربّيت فيهم الصمت

واليوم – هم – يحاصرونك بخوفك وبذلك .. بصمتهم

ردّ عليّ يا حمزة .. لماذا لا ترد ؟!

حمزة لا يرد، هذه المرة الوحيدة التي لا يرد فيها ولا يخترق بصوته الجهوري قلوب أهل البلدة ... لا أحد يتكلم سوى الشيخ

وأهل البلدة يلتفون حول الشيخ ومن تحته جثة حمزة غارقة في اللبن والدم والدموع

أهل البلدة كلهم حاضرون لحظة الخَلاص ماعدا خالد ..

fb/mashro3pdf

(٣)

خالد مازال نائمًا، ويرى في منامه أن خاله حمزة مات، وهو ورث كل أمواله، وأصبح أغنى رجل في الناحية بأكملها، يفرح، ولكن يبكي حزنًا على فراق خاله بين الحين والآخر، يفرح ويحزن، يضحك ويبكي ..

خالد يحدث نفسه: سأصبح أنا الوريث، سأرث كل شيء عنه

أموال كثيرة سأقتل بها الشر الذي زرعه خالي، ثم يراجع نفسه، لا لا إنها أموال حرام

يفرح ويحزن، يضحك ويبكي ...

يرى خالد نفسه يجلس جلسة خاله حمزة المعتادة، ويفعل بأهل البلدة كما اعتاد خاله أن يفعل لعقود عدة، يبطش بهم من أجل أن يضلوا طريق الشر ويعودوا لطريق الخير

يلعن فقراء البلدة الذين يطمعون في زيادة ويتهمهم بعدم الرضا، ولا يكترث بلعناهم

يعايرهم بجهلهم وجاهليتهم الأولى، ويحذرهم من سيفه المسنون بأمر من الله

fb/mashro3pdf

يمارس تسلط خاله على أهل البلدة بشكل مختلف، يمارسه بإتقان وطمأنينة

يجبر آمال على ارتداء النقاب، ترفض في البداية، يعرض عليها الزواج بشرط أن تنتقب

تفكر قليلاً

يقنعها بأنه يريد أن يحمي عِرضها، النقاب خير، النقاب يا آمال

توافق آمال، تبتسم، يضحك هو

يرى خالد نفسه، احتوى أهل البلدة بسذاجتهم وولائهم المعهود .. ولائهم للشر !

يرى منهم كل سمع وطاعة وحب، رغم كرههم له

يفرح ويحزن، يضحك ويبكي ..

fb/mashro3pdf

(٤)

الشيخ محمد يُقال عنه في البلدة أنه وليٌّ من أولياء الله الصالحين، والبعض يعتبره مجنونًا يعرف الله، والبعض الآخر أصبح يعرف الآن سر الشيخ الذي أعلنه بلسان الطعنات وصوت آهات حمزة المتحشرجة

يستيقظ خالد من نومه في هذه اللحظة، يشعر بأن شيئًا ما غريبًا يحدث بالخارج، ويستعيذ بالله من الشيطان الرجيم....

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

التعريف بالكاتب

- أحمد عبد العليم حسن علاء الدين.

- من مواليد الأول من أبريل عام ١٩٨٨.

- تخرج في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة ، قسم العلوم السياسية ، دفعة ٢٠٠٩.

صدر له :

- كتاب مصر حية (ديسمبر ٢٠٠٩، دار شباب بوكس للنشر والتوزيع).

- كتاب ثورة السلاحف (نوفمبر ٢٠١٠، دار اكتب للنشر والتوزيع).

- كتاب مائة يوم من الثورة (أكتوبر ٢٠١١، دار اكتب للنشر والتوزيع).

تحت الطبع :

- ديوان : ضَهر البيوت " أشعار عامية " .

fb/mashro3pdf

للتواصل مع الكاتب

البريد الإلكتروني :

ah_eg_٢٠٠٠@yahoo.com

أو على صفحة الكتاب على موقع الفيس بوك : رواية عبقرية الشر لـــ أحمد عبدالعليم .

fb/mashro3pdf

رواية

عبقرية الشر

دائماً ما نضطر أن نقع فريسة خيار لسنا من صنعناه، ولعنة الجغرافيا توقعنا بين أوطان لسنا من اخترناها، ويسطر التاريخ دائماً من هم وما هو على هوى الحكام وليس الشعوب!
مثل هذه السيجارة ودخانها الأزرق، التي تلهمنا قدراً من التناسي، هي أيضاً خيار نحن فريسته
اختيار .. نحن له مسيّرون !
وأحلامنا مثل هذا الدخان الذي يرتفع ويرتفع ويرتفع حتى يصطدم بسقف هذه الغرفة. لا تعلو أحلامنا أبداً عن هذا السقف، رغم أن الكون أعلى منه بكثير، ورغم أن أحلامنا تستحق براحاً يتسع، براح لا نهائي .

غلاف: عبد الرحمن الصواف

fb/mashro3pdf

OKTOB.NET
اكتب للنشر والتوزيع
Oktob Published house